



كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

بلاغة الامتداد بالاعتراض في شعر الخليفة المغني إبراهيم بن المهدي " بين السياق والدلالة "

إعداد

د/ علي محمود عباس موسى

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

(العدد الأربعون)

(الإصدار الأول - الجزء الأول)

(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

بِلاغَةُ الْإِمْتِدَادِ بِالْإِعْتِرَاضِ فِي شِعْرِ الْخَلِيفَةِ الْمُغْنِيِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ " بَيْنَ السِّيَاقِ وَالِدَّلَالَةِ "

عَلَى مَحْمُودِ عَبَّاسِ مُوسَى

قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، جامعة الأزهر ، قنا ، مصر .

البريد الإلكتروني: Alimussa.4119@azhar.edu.eg

المخلص :

لا يخفى على أحد أن أسلوب الاعتراض من مقتضيات النظم، ومطلبات البيان الفصيح، فهو وسيلة يتغيها البليغ حيناً لتحقيق مقصود بيانه، فليس أسلوب الاعتراض زائداً عن حاجة البيان، وليس كذلك ثانوي الفائدة، والمتمتعن لمواقعه المختلفة في بيان أولئك الفصحاء الذين يحسنون اختيار الموقع الأنسب له، يدرك ذلك. جاءت هذه الدراسة: (بلاغة الامتداد بالاعتراض في شعر الخليفة المغني إبراهيم بن المهدي - بين السياق والدلالة)؛ لأن أسلوب الاعتراض يعد خصوصية شعرية له خاصة، تستوجب طول النظر وكثرة التأمل، ومن ثم فإن دراسة الاعتراض عنده أولى من غيره. ومن المعلوم أن أساليب امتداد المعاني تطلع بصورة مباشرة على البنية التركيبية للشاعر والأديب، فيبين للمتأمل ميسم كل ذي بيان، وتظهر خصوصية كل شاعر وأديب في بناء جملة وأساليبه، ومن ثم فإن دراسة هذا الباب من الأهمية بمكان في علم المعاني، الذي يبحث في كيفية نظم وصياغة البيان البليغ الذي يؤثر في نفوس سامعيه. هذا، وقد وقفت الدراسة على عدة جماليات كلية لأسلوب الاعتراض في شعر إبراهيم بن المهدي، وهي سرعة التعجيل بالوصف والتسجيل على السامع، وتقرير الغرض المسوق له الكلام وتمكينه في النفس، واللفت والتنبيه، والتقييد والتخصيص لتحقيق غرض المتكلم. ولحظت الدراسة كذلك

مدى تناغم أسلوب الاعتراض في شعر إبراهيم بن المهدي مع فنون الشعر وأغراضه المختلفة، فتراه في أحسن موقع مع أغراض الغزل، والمدح، والفخر، والاستعطاف، والهجاء، والرثاء، والوصف، والحكمة، وغيرها، ومن ثمّ يُمكن عن يقين القول بأنّ جميع المعاني في شعر إبراهيم بن المهدي تتسق مع الاعتراض إلى غير حدّ. كما كان لجملة الاعتراض في كثير من الأحيان أثر بيّن في تحقيق تماسك النصّ الشعري وترابطه، وإضفاء الجزالة والمتانة عليه، وهذا يتبدّى حين يتمعن الدّارس في علاقة جملة الاعتراض بما قبلها وما بعدها.

كلمات مفتاحية :

الاعتراض، الامتداد، شعر إبراهيم بن المهدي، الخليفة المغني، خصوصيات شعرية.

The eloquence of the extension of the objection in the poetry of the caliph singer Ibrahim bin Mahdi "between context and connotation"

Ali Mahmoud Abbas Musa

Rhetoric and Criticism Department, College of Islamic and
Arabic Studies for Boys, Qena, Al-Azhar University, Egypt.

Email: Alimussa.4119@azhar.edu.eg

Abstract :

It is no secret to anyone that the method of objection is one of the requirements of the systems and the requirements of an eloquent statement. Realizes that. This study came: (The rhetoric of the extension of the objection in the poetry of the caliph, the singer Abraham bin Al-Mahdi - between context and significance); Because the method of objection is considered a poetic peculiarity to it, which requires long consideration and frequent contemplation, and therefore the study of objection with him is more important than others. It is well-known that the methods of extending meanings directly acquaint themselves with the compositional structure of the poet and the writer, showing the meditator the character of every person who has a statement, and showing the peculiarity of each poet and writer in constructing his sentences and methods. And the wording of an eloquent statement that affects the souls of its listeners. The study has focused on several holistic aesthetics of the method of objection in the poetry of Ibrahim bin Al-Mahdi, which is the speed of expediting the description and recording on the listener, determining the purpose for which speech is marketed and empowering him in the soul, turning and alerting, and restricting and specifying to achieve the speaker's purpose. The study also noted the extent to which

the objection style in the poetry of Ibrahim bin Al Mahdi is consistent with the various arts of poetry and its various purposes, so it is seen in the best position, with the purposes of spinning, praise, pride, sympathy, satire, elegy, description, wisdom, and others, and then it can be said with certainty that All meanings in the poetry of Ibrahim ibn al-Mahdi are consistent with the objection to an extent. Also, the objection clause often had a clear effect on achieving the coherence and coherence of the poetic text, and giving it jargon and durability, and this appears when the student considers the relationship of the objection clause with what came before and after it.

Keywords:

The objection, The extension, The poetry of Ibrahim bin Al-Mahdi, Caliph al-Mughni, Poetic idiosyncrasies.

” وَالْإِعْتِرَاضُ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ وَمَنْثُورَهَا كَثِيرٌ وَحَسَنٌ ،
وَدَالَ عَلَى فَصَاحَةِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَقُوَّةِ نَفْسِهِ ، وَامْتِدَادِ نَفْسِهِ
وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَهُوَ فِي شِعْرِ إِبْرَاهِيمِ
ابْنِ الْمَهْدِيِّ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي شِعْرِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَوْلَدِينَ ”

ابن جني : الخصائص ١ / ٣٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَلَمِّمًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
أَمَّا بَعْدُ ،،،

تُعَدُّ صُورَ الْإِطْنَابِ بِوَجْهِ عَامٍ ، وَجُمْلَةَ الْاِعْتِرَاضِ بِوَجْهِ خَاصٍّ ، أَحَدُ أَهَمِّ طَرِيقِ الْبَلِيغِ الَّتِي تَوْظَفُ لِامْتِدَادِ الْمَعَانِي ، فَأَسَالِيبِ الْاِمْتِدَادِ عَلَى تَنْوَعِهَا لَمْ تَكُنْ فِي كَلَامِ الْبَلِغَاءِ زَائِدَةً عَلَى الْمَعْنَى ، بَلْ كَانَتْ دَوْمًا . وَالْمُتَمَعِّنُ يُدْرِكُ ذَلِكَ . ذَاتُ دَوْرٍ مُؤَثِّرٍ فِي جُمْلَةِ الْإِسْنَادِ ، لَا يَقْلُّ بِحَالٍ عَنِ رُكْنِي جُمْلَةِ الْإِسْنَادِ الرَّئِيسِيِّينَ : (الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ ، وَالْمُسْنَدُ) ، وَمِنْ ثَمَّ عُدَّتْ صُورَ الْإِطْنَابِ ، وَغَيْرَهَا مِنْ أُسَالِيبِ الْاِمْتِدَادِ ، مِنْ مُقْتَضِيَاتِ النَّظْمِ ، وَمِنْ دَوَاعِي مُقْتَضَى الْحَالِ .

إِنَّ أُسَالِيبَ امْتِدَادِ الْمَعَانِي تَطَّلِعُ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ عَلَى الْبُنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ لِلشَّاعِرِ وَالْأَدِيبِ ، فَيُبَيِّنُ لِلْمُتَأَمِّلِ مَيْسَمَ كُلِّ ذِي بَيَانٍ ، وَتُظْهِرُ خُصُوصِيَّةَ كُلِّ شَاعِرٍ وَأَدِيبٍ فِي بِنَاءِ جُمْلَتِهِ وَأَسَالِيبِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ مَدْرَسَةَ هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي ، الَّذِي يَبْحَثُ فِي كَيْفِيَّةِ نَظْمِ وَصِيَاغَةِ الْبَيَانِ الْبَلِيغِ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي نَفُوسِ سَامِعِيهِ .

هَذَا ، وَقَدْ حَدَّدَتْ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ مِيدَانَهَا فِي شِعْرِ شَاعِرِ الْغِنَاءِ الْعَبَّاسِيِّ (اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ) فَكَانَ عَنَوَانُهَا : (بِلَاغَةُ الْاِمْتِدَادِ بِالاعْتِرَاضِ فِي شِعْرِ الْخَلِيفَةِ الْمُغَنِّيِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ . بَيْنَ السِّيَاقِ وَالذَّلَالَةِ) ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أُسْلُوبَ الْاِعْتِرَاضِ يُعَدُّ خُصُوصِيَّةً شِعْرِيَّةً لَهُ خَاصَّةً ، تَسْتَوْجِبُ طُولَ النَّظَرِ وَكَثْرَةَ التَّأَمُّلِ ،

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ دِرَاسَةَ الْاِعْتِرَاضِ عِنْدَهُ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا يُنْكَرُ " أَنَّ لِهَذِهِ الْفُنُونِ مَذَاقَاتَ مُخْتَلَفَةً فِي شِعْرِ كُلِّ شَاعِرٍ ، بَلْ وَفِي الْمَوَاقِعِ الْمُخْتَلَفَةِ مِنْ شِعْرِ الشَّاعِرِ الْوَاحِدِ " (١) .

وَلَمَّا كَانَ نُجْحُ الْأُمُورِ مَرَهُونًا بِتِلْكَ الدَّوَائِعِ وَالْبَوَاعِثِ الَّتِي تَبَعَتْ فِي النَّفْسِ الْمَهْمَةَ ، وَتَشَحَّدَ عَزَائِمُهَا ، فَإِنَّ وَرَاءَ الدَّرْسِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ عِدَّةٌ بَوَاعِثٍ ، أَجْمَلُهَا فِيمَا يَأْتِي :

أولاً : بَكَارَةُ الْمَوْضُوعِ .

ثانياً : إِشَارَةُ ابْنِ جَنِّي . رَحِمَهُ اللَّهُ . فِي الْخَصَائِصِ إِلَى خُصُوصِيَةِ الْاِعْتِرَاضِ وَعِزَّازَتِهِ فِي شِعْرِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .

ثالثاً : حَاجَةُ الْمَكْتَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَاسَّةِ إِلَى دِرَاسَاتٍ بِلَاغِيَّةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ يَكُونُ هَدَفُهَا الرَّئِيسُ الْبَيَانُ الْفَصِيحُ ، الَّذِي تَتَجَلَّى فِيهِ مَحَاسِنُ الْاِمْتِدَادِ بِجُمْلَةٍ الْاِعْتِرَاضِ فِي أَكْشَفِ ثَوْبٍ وَأَوْضَحِ مَرَأَى .

هَذَا ، وَقَدْ جَرَتْ الدَّرَاسَةُ وَفَقِ الْمَنْهَجُ الْاِسْتِقْرَائِيُّ التَّحْلِيلِيُّ ، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْآتِي :

أولاً : قِرَاءَةُ شِعْرِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قِرَاءَةً مَتَأَنِيَّةً لِاسْتِقْرَاءِ مَوَاضِعِ أَسَالِيبِ الْاِعْتِرَاضِ فِي شِعْرِهِ .

ثانياً : تَقْسِيمُ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ إِلَى سِيَاقَاتٍ ، فَهَذَا فِي سِيَاقِ الْغَزْلِ ، وَهَذَا فِي سِيَاقِ الْمَدْحِ وَالِاسْتِعْطَافِ ، وَهَذَا فِي مَقَامِ الْهَجَاءِ ، وَهَذَا فِي مَقَامِ الْوَصْفِ ، وَهَكَذَا دَوَائِكَ .

(١) مُرَاجَعَاتُ فِي أَصُولِ الدَّرْسِ الْبِلَاغِيِّ . د. مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَبُو مُوسَى ص ١٢٧ . ط : مَكْتَبَةُ وَهْبَةِ

ط : أُولَى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .

ثالثاً : تبيان بلاغة أسلوب الاعتراض في كل سياق ، والوقوف على غرض الشاعر من الاعتراض على طريقة البلاغيين في ذلك ، وتلمس جماليات الاعتراض ومحاسنه في كل موضع على حدة .

رابعاً : الوقوف على طريقة الشاعر في توظيف جملة الاعتراض خاصة لإفادة الامتداد ، وأثر الجملة الاعتراضية . باعتبارها إحدى أساليب الامتداد . على المعنى الرئيس ، وكيف أنها أعانت الشاعر على تحقيق مقصوده .

خامساً : محاولة الوقوف . ما أمكن . على أثر جملة الاعتراض على تحقيق تماسك النص الشعري وترابطه ، وكيف أضفت عليه لونا من الجزالة والمتانة .

سادساً : محاولة الربط ما أمكن بين الجملة الرئيسة والممتدة بالاعتراض بإحدى أسس التناسب حتى لا تكون الجملة الاعتراضية غريبة عنها ، بل متولدة منها .

هذا ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدّمة ، وتمهيد ، وسبعة مباحث ، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات .

أما المقدّمة ، فاشتملت على : أهمية الموضوع ، وبواعث السير فيه ، ومنهج البحث ، وخطته .

وأما التمهيد ، فقد حمل على عاتقه تبيان مفردات عنوان البحث ، ومن ثمّ فقد اشتمل على أمور ثلاثة :

أولاً : الامتداد في اللغة العربية ، مفهومه ، وأساليبه .

ثانياً : أسلوب الاعتراض : مفهومه ، وأغراضه البلاغية .

ثالثاً : إبراهيم بن المهدي ، وشعره .

أما مباحث الدِّراسة ، فكانت سبعة ، على النحو الآتي :

المبحث الأول : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق الغزل ، وعتاب

الصاحبة واستعطافها .

المبحث الثاني : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق المدح والاستعطاف .

المبحث الثالث : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق حديث الشاعر عن

نفسه .

المبحث الرابع : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق الرثاء .

المبحث الخامس : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق الوصف .

المبحث السادس : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق الهجاء .

المبحث السابع : بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق الحكمة .

وأما الخاتمة فأوجزت أهم نتائج الدِّراسة .

وفي الختام أضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل هذا العمل ، وأن

يجعل ثوابه ببني وبين شَيْخِي الْحَبِيب ، فضيلة الأستاذ الدكتور / علي عبد الحميد

عيسى ، أحسن الله إليه ، ونفع به ، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾^(١)

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ علي محمود عباس (أبو إبراهيم)

(١) سورة آل عمران : آية ٨ .

التَّمْهِيدُ

أولاً : الامتداد في اللغة العربية ، مفهومه ، وأسايبه :

يعدُّ الامتداد من المفاهيم التي تحتاج إلى زيادة بيان وتوضيح ، ولاسيما أنَّ المصطلح حديث التسمية ، ووليد الدراسات الحديثة .

فالامتداد في اللغة : تدور مادته حول معنى الطُّول والبَسْط والزيادة . جاء في لسان العرب : " رجل مديد الجسم طويل .. وفي حديث عثمان قال لبعض عماله : بلغني أنك تزوجت امرأة مديدة ، أي طويلة ، ورجل مديد القامة : طويل القامة ، وطِرافٌ مُمددٌ ، أي : ممدودٌ بالأطناب ، وشُدَّدَ للمبالغة ، وتمدَّد الرجل أي : تمطَّى ، والمديدُ ضرب من العرَّوض ، سمي مديداً ؛ لأنَّه امتدَّ سبباًه ، فصار سبب في أوله ، وسبب بعد الوتدِ ، وقوله تعالى : (في عمَدٍ مُمدَّدةٍ) فسره ثعلب فقال : معناه : في عمَدٍ طِوالٍ .. " (١)

أما الامتداد في الاصطلاح :

فقد جرى الحديث عنه عرضاً في كتب أهل العلم ، حيث رأيت أحد الباحثين يتحدث عن الجمل وأنواعها ، موضحاً أنَّ من بينها الجملة الممتدة ، وعرفها بأنها: المكوَّنة من مركب إسنادي واحد ، وما يتعلَّق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركَّبات غير إسنادية (٢)

(١) لسان العرب لابن منظور . مادة (مدد) . ط : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة

والإرشاد . السعودية . أشرفت على الطباعة : دار النوادر . الكويت . ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م .

(٢) الجملة العربية . مكوناتها . أعدادها . تحليلها . د إبراهيم محمد عبادة ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

ط : مكتبة الآداب للطباعة والنشر . القاهرة . ط : ثانية . ٢٠٠١ م .

ثمَّ إنَّ البحثَ رصدَ ترجمة لمصطلح الامتداد في دراسة صوّبت نظرها نحوه ولعلّها من بواكير الدّراسات البلاغية في هذا الباب ، حيث جاء فيها أنّ الامتداد : بسط وزيادة في الشيء على أصله لحاجة ، وذلك لاختلاف معنى الامتداد باختلاف ما أضيف إليه ، فإذا أضيف للجُملة بأن قيل : امتداد الجُملة كان خاصا بما زاد عن ركني الجُملة الأساسين (المسند والمسند إليه) من مكملات يأتي بها المتكلم بيانا وتفصيلا وإحاطة بمعناه الذي يريد (١)

فمِمَّا سبق يُمكن القول: إنّ الامتداد مفهوم واسع يشمل كلّ ما زاد على طرفي جُملة الإسناد، من مُتعلّقات ، وقيود ، وغيرها .

يقول الدكتور خفاجي- رحمه الله - : فالجُملة عند علماء المعاني تنقسم إلى قسمين : جُملة رئيسة ، وهي المستقلة التي لم تكن قيّدا في غيرها ، وجُملة غير رئيسة ، وهي ما كانت قيّدا في غيرها ، وليست مستقلة بنفسها (٢)

هذا، وتتنوّع الأدوات والأساليب التي توظّف للامتداد وإطالة الجُملة في اللغة العربية ، ومن ذلك : قيود الجُملة بوجه عام ، من مفعول وحال وتمييز ، ثمّ أنواع

(١) أساليب امتداد الجُملة الفعلية في ديوان علي الجارم . بين السِّيَاقِ وَالذَّلَالَةِ . للباحث : أحمد عوض عبد العزيز قطب . رسالة ماجستير (مخطوطة) ص ٩ . كلية اللغة العربية . أسيوط . جامعة الأزهر . ١٤٣٧ هـ . ٢٠١٦ م . تحت إشراف الأستاذ الدكتور/علي عبد الحميد أحمد عيسى .

يؤخذ على الباحث . من وجهة نظري . عدم تركيز مفهوم الامتداد في ألفاظ قليلة .
(٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني . تح : د / محمد عبد المنعم خفاجي ج ٢ / هامش ص ١١٥ . ط : المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة . ط : الثالثة . ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م .

التوابع : (النعت والتوكيد والبدل وعطف البيان وعطف النسق) ، ثمَّ الإطناب بشتى صوره ، ك (البيان بعد الإبهام ، والتكرير ، وعطف الخاص بعد العام ، والإيغال ، والاعتراض ، والتتميم ، والتذييل) وغيرها ، ثمَّ التعليل ، ثمَّ التقسيم ، ثمَّ التَّمثِيل ، وغيرها (١)

وإذا كانت زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى ، كما هو مشهور عن علمائنا ، فإنَّ صور الامتداد على تنوعها تأتي لغرض ينشده البليغ ويرجوه ، وهو تحقيق المقصود ، وإتمام الفائدة ، يقول الخطيب القزويني . رحمه الله . في معرض حديثه عن تقييد الفعل وعدمه . والتقييد إحدى صور الامتداد : " وأما تقييد الفعل بمفعول ونحوه ، فلتربية الفائدة .. وأما ترك تقييده ، فلما نعت من تربية الفائدة " (٢) .

كما أنَّ الحكم كلما ازداد خصوصاً زاد غرابية ، وكلما زاد غرابية زاد فائدة (٣) .

كما أنَّ " ازدياد التقييد ، يوجب ازدياد الخصوص ، وهو يوجب ازدياد البعد الموجب لقوة الفائدة " (٤) .

ولا يخفى مثلاً أنَّ الجُملة التي اتَّخذت من المفعول به وسيلة من وسائل الامتداد تختلف كثيراً في معناها عن الجملة التي وقفت عند الفاعل ، إذ يكون

-
- (١) ينظر تفصيل ذلك في : أساليب امتداد الجملة الفعلية في ديوان علي الجارم من ص ١١ . ١٥ . للباحث . وفقه الله ونفع به . فضل لا ينكر في جمع شتات صور الامتداد تحت عنوان : أساليب الامتداد في اللغة العربية ، ما يجعل الدراسة محط أنظار الباحثين في هذا الجانب .
- (٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني . تح : د / محمد عبد المنعم خفاجي ١١٤/٢ ، ١١٥ . ط : المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة . ط : الثالثة . ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م .
- (٣) ينظر : مختصر المعاني ٢ / ٣٢ ضمن كتاب شروح التلخيص . . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .
- (٤) المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) للعلامة سعد الدين التفتازاني . تح : د / عبد الحميد هندواوي ص ٣١٤ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : الثالثة . ١٤٣٤ هـ . ٢٠١٣ م .

الغرض من البليغ عند الاكتفاء بالفاعل وعدم الامتداد بالمفعول " إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق ، وعلى الجملة " (١) .

ثم إنّه " قد يذكر الفعل كثيراً، والغرض منه ذكر المفعول، مثاله أنك تقول: أضربت زيداً ؟ وأنت لا تتكر أن يكون كان من المخاطب ضرب ، وإنما تنكر أن يكون وقع الضرب منه على زيد ، وأن يستجيز ذلك أو يستطيعه " (٢) . ومن ثم يبين للناظر أن أساليب الامتداد تطلب لذاتها ، ولا يتحقق غرض المتكلم أحياناً إلا بها .

فأساليب الامتداد تُعين صاحب البيان على تحقيق غرضه الذي يقصده ، وهي في الأهمية لا تقلّ بحال عن ركني جملة الإسناد ، ويجب تلمس فيوضاتها على الإسناد في كل موضع ، فإنها كامنة لا محالة ، والله يوفق من يشاء لما يشاء .

ثانياً : أسلوب الاعتراض : مفهومه ، وأغراضه البلاغية .

تُحاول الدراسة في هذا الجانب الوقوف على معنى الاعتراض في اللغة ، وفي اصطلاح البلاغيين ، ثمّ الوقوف على بعض أسرارهِ وقيمه البلاغية ، فنقول وبالله التوفيق .

من معاني الاعتراض في اللغة المنع، والحوّل بين شيئين. فقد جاء في لسان العرب: " عَرَضَ الشَّيْءُ يَغْرِضُ وَاعْتَرَضَ انْتَصَبَ وَمَنَعَ، وَصَارَ عَارِضاً كَالْخَشْبَةِ الْمُنْتَصِبَةِ فِي النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوَهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلُوكَهَا، وَيُقَالُ اعْتَرَضَ الشَّيْءُ دُونَ الشَّيْءِ أَي : حَالَ دُونِهِ .. وَكُلُّ مَانِعٍ مَنَعَكَ مِنْ شُغْلٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَهُوَ

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني . قراءة وتعليق : محمود محمد شاكر ص ١٥٤

- ط : مطبعة المدني . القاهرة . صف الكتاب بطريقة الجمع التصويري : مكتبة الخانجي . القاهرة .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٥٧ .

عَارِضٌ ، وقد عَرَضَ عَارِضٌ أَي حال حائِلٌ ، وَمَنَعَ مانِعٌ ، ومنه يُقال : لا تَعْرِضْ ولا تَعْرِضْ لفلان ، أَي : لا تَعْرِضْ له بِمَنَعِكَ باعْتِرَاضِكَ أَنْ يَقْصِدَ مُرَادَهُ ويذهب مذهبه " (١)

فالاعتراض في اللغة يعني : الدخول بين الشئيين ، حتَّى يكون الداخل المعترضُ فاصلاً بينهما ، ويُسمَّى (عَارِضاً) أَي : حائلاً ومانعاً بينهما ، ومنه أُخذ الاعتراض في البلاغة والنحو (٢)

وفي اصطلاح البلاغيين: هو: أَنْ يُوتَى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصليين معنى ، بجملة أو بأكثر ، لا محل لها من الإعراب ، لنكتة سوى دفع الإيهام (٣) ولجملة الاعتراض مواضع متعددة ، فهي تقع بين الفعل ومرفوعه ، وبين الفعل ومفعوله ، وبين المبتدأ وخبره ، وبين ما أصله المبتدأ والخبر ، وبين الشرط وجوابه ، وبين القسم وجوابه ، وبين الموصوف وصفته ، وبين الموصول وصلته ، وبين أجزاء الصلّة ، وبين المتضايقين ، وبين الجار والمجرور ، وبين الحرف الناسخ وما دخل عليه ، وبين الحرف وتوكيده ، وبين حرف التنفيس والفعل ، وبين قد والفعل ، وبين حرف النفي ومنفيه (٤)

(١) لسان العرب . مادة عرض .

(٢) ينظر : البلاغة العربية . أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد . تأليف وتأمل / عبد الرحمن حسن حَبَنَكَة الميداني ٢ / ٨٠ . ط: دار القلم . دمشق و/الدار الشامية . بيروت . ط : أولى . ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

(٣) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ٣ / ٢٣٧ ضمن شروح التلخيص . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .

(٤) راجع مواضع جملة الاعتراض بتفصيل ، مع عرض الكثير من الأمثلة ، في : مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري . تحقيق : د / مازن المبارك و/ محمد علي حمد الله . راجعه : سعيد الأفغاني ٢ / ٤٣٢ . ٤٤١ . ط : دار الفكر . دمشق . ط : أولى . ١٣٨٤ هـ . ١٩٦٤ م .

وفضل الاعتراض على الكلام كثير ، وأسارره في كل موضع كامنة ، فله في كل مقام غرض منشود ، يقول ابن جنى . رحمه الله . : " اعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام ، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لا يشنع عليهم ، ولا يستنكر عندهم ، أن يعترض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك ممّا لا يجوز الفصل فيه بغيره ، إلا شاذًا أو متأوّلاً " (١)

وفي الأصول : " واعلم : أنّ (إنّ وأخواتها) قد يجوز أن تفصل بينها وبين أخبارها بما يدخل لتوكيد الشيء أو لرفعه ؛ لأنّه بمنزلة الصّفة في الفائدة ، يوضح عن الشيء ويؤكدّه ، وذلك قولك : إنّ زيداً . فافهم ما أقول . رجل صالح ، وإن عمراً . والله . ظالم ، وإن زيدا . هو المسكين . مرجوم ؛ لأنّ هذا في الرفع يجري مجرى المدح والذم في النصب " (٢) .

وفي موضع آخر من الكتاب يقول : " وجملته هذا الذي يجيء معترضاً إنّما يكون توكيداً للشيء ، أو لدفعه ؛ لأنّه بمنزلة الصّفة في الفائدة ، يوضح عن الشيء ويؤكدّه " (٣)

(١) الخصاصيّ لأبي الفتح عثمان بن جنّي - تحقيق: محمد علي النجار ١ / ٣٤١ ط : الهيئة العامة لقصور الثقافة . ٢٠٠٦ م . مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية . ١٩٥٢ م .

(٢) الأصول في النحو لابن السراج . تح : د . عبد الحسين الفتلي ١ / ٢٦٠ . ط : مؤسسة الرسالة . بيروت . ط : الثالثة . ١٩٨٨ م .

(٣) الأصول في النحو ٢ / ٢٦١ .

بل راح السيوطي . رحمه الله . يعرف الجملة الاعتراضية بقيمتها وفائدتها في الكلام ، حيث قال : " والاعتراضية هي التي تفيد تأكيدا وتسديدا للكلام الذي اعترضت بين أجزائه " (١)

وعُرِّفت ثانية بأنها : جملة المناسبة للمقصود ، بحيث يكون كالتوكيد له ، أو على التنبه على حال من أحواله (٢)

فتحقيق التوكيد في الكلام مقصد جليل لصاحب البيان، والاعتراض كما بان أحد طرائقه، وهذا يبرز إحدى القيم الأسلوبية لجملة الاعتراض، ف " كم من كلام هو عن التحقيق طريد، حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذلك يصير قلادة في الجيد، وقاعدة في التجويد " (٣)

ثم إنَّ فائدة الجملة الاعتراضية على الكلام كثيرة ؛ إذ بها " تقوية بين جزأي صلة ، أو إسناد ، أو مجازاة ، أو نحو ذلك " (٤)

وليس هذا فحسب ، فلإطناب عن طريق الجملة الاعتراضية مقاصد بلاغية أخرى ، ف وجودها يُثير الانتباه ، ويضيف إلى التركيب الإسنادي الموظفة فيه

(١) هنع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي . تح : أحمد شمس الدين ٢ / ٢٥٣ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط : أولى . ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م .

(٢) ارتشآف الضَّرْبِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ لِأَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ . تح : محمد عثمان ٢ / ٥١٣ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

(٣) مُعْجَمُ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلدُّكْتُورِ بَدْوِيِّ بَطَّانَةَ ص ٣٤ . ط : دار المنار للنشر والتوزيع . جدة . ودار الرفاعي . الرياض . ط : الثالثة . ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .

(٤) شرح التسهيل المُسمى : تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحَبِّ الدين محمد بن يوسف التميمي الشافعي المعروف بناظر الجيش . تح : محمد العززي . ٣ / ٣٥٧ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

معنى جديدا ، ما كان ليكون لولا وجودها ، ومن ثم فلا يمكن إغفال مثل هذه الجملة الاعتراضية عند تحليل هذه التراكمات الإسنادية " (١)

أَمَّا الصَّاحِبِيُّ . رحمه الله . فقد أكد على وجوب اجتناء الفائدة ، والتقاط الثمرة من أسلوب الاعتراض ، وأنه من السُّنَنِ الْقَوْلِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ عن العرب الفصحاء بقوله: " وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ يَعْتَرِضَ بَيْنَ الْكَلَامِ وَتَمَامِهِ كَلَامًا ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْمَعْتَرِضُ إِلَّا مُفِيدًا " (٢)

وكيف لا ؟ وفي الاعتراض " حُسْنُ الْإِفَادَةِ ، مَعَ أَنَّ مَجِيئَهُ مَجِيءٌ مَا لَا مَعُولَ عَلَيْهِ فِي الْإِفَادَةِ ، فَيَكُونُ مِثْلَهُ مِثْلَ الْحَسَنَةِ تَأْتِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْتَقِبُهَا " (٣)

ولأسلوب الاعتراض على المعاني المختلفة فضائل ومحامد لا تنتهي ، ففي المثل السائر : " الاعتراض إذا كان هكذا ، كسا الكلام لطفاً إن كان غزلاً ، وكساه

(١) الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني . دراسات نحوية . راجع بو معزة ص ٩٥ . ط : دار رسلان للطباعة والنشر . ٢٠٠٨ م .

(٢) الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس . علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج ص ١٩٠ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) للخطيب القزويني . وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ١ / ١٦٠ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط : أولى . ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .

أبهة وجلالا إن كان مديحا ، أو ما يجري مجراه من أساليب الكلام ، وإن كان هجاء كساه تأكيدا وإثباتا " (١)

وفوق كل ذلك فإن أسلوب الاعتراض يحقق في كلام الفصحاء ضرباً من التماسك والانسجام النصي بين تراكيبه ، رغم وقوعه بين شينين مترابطين أو متلازمين ، كالمبتدأ والخبر ، والصفة والموصوف ، والمضاف والمضاف إليه ، فهو يساعد على سبك النص ، إذ يقوم غالباً مقام الواسطة التي تربط السابق واللاحق ، فوقوعه في الكلام بين متلازمين لم ينف عن الكلام وصف التلاحم بين أجزائه ، وهو المسمى عند علماء النص بالحبك . ولاسيما أن العلماء قد عددوا لجملة الاعتراض شروطاً :

الأول: أن تكون مناسبة للجملة المقصودة، بحيث تكون كالتأكيد، أو التنبية على حال من أحوالها.

الثاني: ألا تكون معمولة لشيء من أجزاء الجملة المقصودة .

الثالث: ألا يكون الفصل بها إلا بين الأجزاء المنفصلة بذاتها ، بخلاف

المضاف والمضاف إليه ؛ لأن الثاني كالتنوين منه " (٢)

فللجملة الاعتراضية " أثر على التماسك الدلالي من خلال استخدام المُداخلات النصية " (٣) ، ويُعد أسلوب الاعتراض أحد الروابط الدلالية التي تربط بين أجزاء الكلام، فالناظر يجد أن " المُعْتَرِض لا يخلو من الربط ضمن البنية العميقة للتركيب

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير - قدمه وعلق عليه د / أحمد الحوفي و د / بدوي بطانة ٣ / ٤٤ . ط : دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجالة . القاهرة .

(٢) همع الهوامع للسيوطي ٢ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) الربط وأثره في البناء النصي . دراسة نحوية دلالية . د يوسف محمود محمد الحسني ص ١١١ . مجلة أماراباك . مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا . المجلد السادس . العدد التاسع عشر . ٢٠١٥ م .

الكَلْبِيِّ ، ثُمَّ باستخدام رابط ظاهر في الأبنية السطحية ، وهذا يستند على الربط

الدلالي لإفادة غرض ما بين أجزاء التركيب والجمل " (١)

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يُغْفَلْ كَذَلِكَ مَا لِأُسْلُوبِ الْعِرْضِ مِنْ أَثَرٍ وَاضِحٍ عَلَى الْقَارِئِ ، أَوْ الْمُتَلَقِّي ؛ لِأَنَّ " اتصَالَ الْعِرْضَ بِالْجَانِبِ الدَّلَالِيِّ يَشْكَلُ وَسِيلَةً رِبْطَ ، كَالنَّزْرِهِ ،

والتعظيم ، والتحقير ، والاحتراس ، والتهكم ، والتعظيم ، وهذا الاعتراض له أثر على

المتلقي أو القارئ ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ " (٢)

فَمِمَّا يَتَجَلَّى فِيهِ جَمَالُ أُسْلُوبِ الْعِرْضِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

فَإِنْ تَكُنَّ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ . : بَبُؤْسِي وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

فَمَا لَيْنَتْ مِنْ قَنَاءَ صَلِيبَةٍ . : وَلَا عَرَضْنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ

فَقَوْلُهُ : (وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ) يُسَمَّى اعْتِرَاضًا ، وَمِثْلُ هَذَا مِنَ الْعِرْضِ يَزِيدُ

الْقِصَّةَ تَأْكِيدًا ، وَهُوَ هُنَا حَائِلٌ بَيْنَ الْجَزْأِ وَجَوَابِهِ ، لِأَنَّ جَوَابَ إِنْ تَكُنْ ، قَوْلُهُ :

(فَمَا لَيْنَتْ مِنْ قَنَاءَ صَلِيبَةٍ) وَحَسُنَ الْكَلَامُ بِهِ جِدًّا ؛ إِذْ كَانَ تَأْكِيدًا لِمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ

تَحَوُّلِ الْأَحْوَالِ ، وَتَحْقِيقًا لِمَا شَكَاهُ مِنَ رَيْبِ الزَّمَانِ ، وَبِعِثَا عَلَى التَّسْلِيِّ ، وَأَخَذَ

النَّفْسَ بِالتَّأْسِي ، فَيَقُولُ : إِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ دَارَتْ فِينَا بِالنِّعْمَاءِ مَرَّةً وَبِالْبَأْسَاءِ أُخْرَى .

وَهَذَا عَادَةُ الدَّهْرِ وَحَوَادِثِهِ . فَمَا غَيَّرَتْ مِنْ شَيْئاً (٣)

فَالْمُتَأَمِّلُ هُنَا يَلْمِسُ بِنَفْسِهِ فَضْلَ الْعِرْضِ فِي تَحْقِيقِ مَقْصُودِ الشَّاعِرِ ،

وَيُرْوِزُهُ كَالدَّرَةِ الثَّمِينَةِ فِي وَاسِطَةِ الْعِقْدِ .

(١) المرجع السابق ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق ص ١١١ .

(٣) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام . تأليف : أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي . علق عليه

وكتب حواشيه : غريد الشَّيْخ . وضع فهرسه العامة : إبراهيم شمس الدين . ص ١٨٨ .

١٨٩ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

ومنه أيضًا ما جاء في قوله . عزَّ شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَلْحَقُهُ الْعَذَابُ ﴾ (١) وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ (٢)

فالجملَةُ الاعتراضيةُ : (وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ) التي استقرت بين المعطوف عليه : (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) ، والمعطوف : (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) فيها " وصف لذاته بسعة الرَّحمة وقرب المغفرة ، وأنَّ التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له ، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه ، وأنَّ عدله يوجب المغفرة للتائب ، لأنَّ العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز ، وفيه تطيب لنفوس العباد ، وتنشيط للتوبة ، وبعث عليها ، وردع عن اليأس والقنوط ، وأنَّ الذُّنوب . وإنَّ جَلَّت . فإنَّ عفوهُ أَجَلٌ ، وكرمه أعظم . والمعنى : أنه وحده معه مصححات المغفرة " (٢)

فلا يخفى على متأمِّل أنَّ الجملَةَ الاعتراضية تتناسل من رحم ما قبلها ، وتتألف في المعنى أيضًا مع ما بعدها ، فالتماسك الدلالي الناشئ عن الوحدة الموضوعية مُتَحَقِّقٌ بلا أدنى شك .

ولا تتوقَّف عطايا الاعتراض وحسناته على الكلام فحسب ، ففي أسلوب الاعتراض أيضًا أمانة على علو كعب المتكلم ، إذ هو " دالٌّ على فصاحة المتكلم ، وقوة نفسه ، وامتداد نفسه ، وقد رأيتُه في أشعار المحدثين ، وهو في شعر إبراهيم بن المهدي أكثر منه في شعر غيره من المولدين " (٣)

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٥ .

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . ١ / ٤١٦ . ط : دار الكتب العربي . بيروت . ١٤٠٧ هـ .

(٣) الخصائص لابن جني ١ / ٣٤١ .

وفي قول أبي الفتح ^(١) إِنَّ الإِعْتِرَاضَ دَالٌّ عَلَى (قُوَّةِ نَفْسِهِ ، وَامْتِدَادِ نَفْسِهِ)
يكشف عن عناية الشَّاعر بتفريع المعنى، وتفصيله، واستقصاء أجزائه.
هذا ، ولأستاذنا الدكتور / محمود حسن مخلوف . أحسن الله إليه وبارك فيه .
لفتة حسنة جداً على نصِّ ابن جني . رحمه الله . ، ذكرها عند تحكيمة للبحث قائلاً :
بأنَّ هذا النَّصَّ ينفي ما أُثير في مطلع القرن العشرين من جزئية النَّظرة ، فها هو
أبو الفتح تمتد نظرتة لتشمل شعر العرب الأولين والمتأخرين في زمانه ، بل دَقَّق .
رحمهُ الله . حتَّى وازن بين نسب ورود الإِعْتِرَاضِ عند الشُّعراء ، فحكَمَ على وجوده
في شعر العرب بأنَّه (كثير وحسن) ، ثمَّ عرض لورود الإِعْتِرَاضِ في شعر مُحدَثي
زمانه خاصَّةً عند (إبراهيم بن المهدي) ، وتَعَجَّبُ جداً من غياب هذا عند كبار
المؤرِّخين لنقد العرب وبلاغته ، وتتأكَّد من أنَّهم كانوا يقرأون عن تراثنا أضعاف ما
يقرأون فيه ، وإذا قرأوا فيه فإنَّ الغفلة وسوء الظَّنِّ المُسْبِقِ يحجبهم عن كُنُوزِ
المُعْوزة إلى صبر ووعي .

وفي الختام يحسن القول: إِنَّ أسلوب الإِعْتِرَاضِ مِنَ الأساليب البلاغيَّة المُهمَّة
التي يجب أن تتَّجه إليها أنظار البلاغيين، لما لهذا الأسلوب من عطايا وفيرة على
البيان الفصيح، وكيف لا ؟ والإِعْتِرَاضِ مِنَ مُقتضيات النَّظْمِ ؛ إذ هو وسيلة يتغيَّأها
البلِغ حيناً لتحقيق مقصود بيانه ، فليس أسلوب الإِعْتِرَاضِ زائداً عَن حاجة البيان
بحال من الأحوال ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) من تعليق أستاذنا الدكتور / محمود حسن مخلوف ، مُحكَّم البحث للنَّشر ، نفع الله بعلمه
وجزاه عن طلاب العلم خير الجزاء .

ثالثاً: إبراهيم بن المهدي (١٦٢ - ٢٢٤ هـ)، وشعره.

طارت شهرة الخليفة العباسي إبراهيم بن المهدي ، وعجّت كتب التاريخ والتراجم بالحديث عن سيرته ، ومن ثمّ فالدراسة هنا يناسبها إلقاء الضوء بإيجاز على نسبه ، ومولده ، ومنزلته الشعريّة ، وأهمّ الأغراض الشعريّة التي نظم فيها .

أمّا نسبه فهو : إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو إسحاق ، ويعرف بابن شكّلة ، بُويع له بالخلافة ببغداد في أيام المأمون ^(١) ومولده غرة ذي القعدة من سنة اثنتين وستين ومائة ^(٢)

وقد كان من آدب الناس ، وأشعرهم ، وأبلغهم ، وغلب عليه الغناء ، فبرز وأعجز وسحر وبهر حتّى ضرب به المثل ^(٣)

هذا ، وقد اشتهر إبراهيم بن المهدي بالغناء ، فقد قيل عنه : " ما اجتمع أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته غُلبية " ^(٤)

وروي عن أبي إسحاق الموصلي أنّه كان يقول: " ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن عباس أفضل من إبراهيم بن المهدي ، فقيل له: مع ما تبذل به من الغناء ! فقال : وهل تمّ فضله إلا بذلك ؟ " ^(٥)

(١) ينظر : تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادي . تح : مصطفى عبد القادر عطا / ٦ / ١٤٠ .

ط : دار الكتب العلمية . بيروت .

(٢) ينظر : تاريخ بغداد / ٦ / ١٤١ .

(٣) ينظر : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ١٣٠ . ط : المكتبة العصرية . صيدا .

بيروت . ط : أولى . ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٤) سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي . تح : شعيب الأرنؤوط ، و / محمد نعيم العرقسوسي

١٠ / ٥٦١ . ط : مؤسسة الرسالة . ط : أولى . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(٥) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . شرحه وكتبه هوامشه : عبدأ علي مهنا ١١٩/١٠ . ط : دار

الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .

وكان غناء إبراهيم لأخيه الرشيد، ثم للثلاثة من بني أخيه الخلفاء، وهم الأمين ، والمأمون ، والمعتصم ... وكان إذا ضَرَبَ وَغَنَّى لأحدهم في الصحاري والمصائد والمُنْتَرِهَاتِ وَقَفَّتْ لَهُ الطير ، وعكفت عليه الوحوش ، حتَّى تكاد تُؤخذ بالأيدي (١)

وأما عن خِلافته : فقد بُويِعَ إبراهيم بالخِلافة في زمن المأمون ، فحارب الحسن بن سهل فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل لحربه حُميد الطوسي ، فهزم جمع إبراهيم ، واختفى إبراهيم زمانا إلى أن ظفر به المأمون ، فعفا عنه (٢) ، ثم إنَّ مَنْ يُطالع ديوانه يجد أنه قد نظم في جُلِّ الأعراس الشعرية ، كالوصف ، والغزل ، والمدح ، والرثاء والهجاء ، والاعتذار ، والخمر ، وغيرها . فمن الوصف قوله وهو يصف جارية بيدها خمر :

حمرَاء صافية في جوف صافية .: يسعى بها نحونا خود من الحور
حسنا تحمل حسناوين في يدها .: صاف من الراح في صافي القوارير (٣)
ومن جميل قوله في الغزل :

خِلْتَهَا فِي المِعْصَفَاتِ القَوَانِي .: وَرَدَةً فِي شَقَائِقِ النُّعْمَانِ
أنتِ تَفَاحَتِي وَفِيكَ مَعَ التَّفْ .: فَا حِ رَمَائَتَانِ فِي عُصْنِ بَانَ
لا أرى في سِوَاكَ مَا فِيكَ مِنْ طِي .: ب وَمِنْ بَهْجَةٍ وَمِنْ رِيحَانِ
فَإِذَا كُنْتِ لِي وَفِيكَ الَّذِي فِي .: كِ فَمَا حَاجَتِي إِلَى البُسْتَانِ (٤)

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ١٣٠ .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٥٩ .

(٣) شعر إبراهيم بن المهدي (الخليفة المغني) وأخباره ونثره . جمع وتحقيق ودراسة : د / محمد

مصطفى أبو شوارب ص ١٦٢ . ط : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . ط : أولى . ٢٠٠٧ م .

(٤) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٢٨ .

ومنه أيضًا قوله :

- يا من لقلبٍ صيغٍ من صخرةٍ :: في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبٍ
 جرحتُ خديهِ بلحظي فما :: برحتُ حتى اقتص من قلبي (١)
 ومن المدح قوله في مدح المأمون :
 مُتَيَقِّظًا حَذْرًا وَمَا يَخْشَى الْعَدَى :: نَبَّهَانَ مِنْ وَسَنَاتِ لَيْلِ الْهَاجِعِ
 مُلئتُ قلوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَخَافَةَ :: وَتَيَّيْتُ تَكَلُّوهُمْ بِقَلْبِ خَاشِعِ
 بِأَبِي وَأُمِّي فِدِيَّةً وَبَيْنَهُمَا :: مِنْ كُلِّ مُعْضَلَةٍ وَرَيْبٍ وَاقِعِ (٢)

ومن الهجاء قوله :

- حياتك لا يسرُّ بها صديقٌ :: وموتك من مصائبنا العظامِ
 وشركٌ حاضرٌ في كلِّ وقتٍ :: وخيرك رميةٌ من غيرِ رامِ (٣)

ومنه أيضًا قوله في هجاء أحدهم حين تولى الوزارة :

- يا بوؤسٍ يومٍ كاسفٍ :: إن لم يغير في غده
 لأمانةٍ وزيرها :: عاصرُ زيتٍ بيده
 يظهُرُ نصحا وجهه :: وغشاهُ في كبده (٤)

ومن جميل الاعتذار قوله للمأمون :

- أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا :: وَأُنْتُ لِلْعَفْوِ وَأَهْلُ
 فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْنٌ :: وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَذْلٌ (٥)

- (١) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٢١ .
 (٢) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٧٣ .
 (٣) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢١٤ .
 (٤) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٤٣ .
 (٥) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٩٤ .

ومن شعره في وصف الخمر قوله:

كَأَسُّ كَأَن شَعَاعَهَا .: قَبَسٌ عَلَى شَرْفٍ مُطِـل

ولقد دَعَرْتُ بِهَا الظَّلَا .: مَ فَبِثْتُ فِي شَمْسٍ وَظِل (١)

ومن جميل ما قال الرجل في الاستعطاف والعرفان بالفضل قوله :

لئن جددتكَ معروفاً مننت به .: إني لفي اللؤم أحظى منك في الكرم

فلو بذلتُ دمي أبغي رضاك به .: والمالَ حتى أسلَّ النعلَ من قدمي

ما كان ذاك سوى عارية رجعت .: إليك لو لم تهبها كنت لم تلم (٢)

وترى الحكمة أيضاً في شعر الرَّجُل ، ومن ذلك قوله :

وما المرءُ في دُنْيَاهُ إِلَّا كَهَاجِجٍ .: رأى في غرارِ النومِ أضغاثَ أحلام (٣)

وقوله :

مَنْ قَالَ فِي النَّاسِ قَالُوا فِيهِ مَا فِيهِ .: وَحَسْبُهُ ذَاكَ مِنْ خَزِيٍّ وَيَكْفِيهِ

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِيهُ .: عَنِ الصِّدِّيقِ وَلَمْ تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ

كَالسَّيْلِ يَجْرِي وَلَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ .: مِنْ أَيْنَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ

وَفَرَّ مِنْ رِزْقِهِ عَبْدٌ إِلَى جَبَلٍ .: دُونَ السَّمَاءِ لِأَلْفَى رِزْقَهُ فِيهِ (٤)

ومن الرِّثَاءِ قوله في رثاء ولده أحمد :

وَالْمَوْتُ يَغْشَى بِيَاضِ سَنَّتِهِ .: كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاءَهَا الدَّجَنُ

يَطْلُبُ رَوْحاً عِنْدِي لكَرْبَتِهِ .: وَالرَّوْحَ فِي كَفِّ مَنْ لَهُ الْمُنُّ

(١) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٩٦ .

(٢) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٠٩ .

(٣) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢١٣ .

(٤) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٤٢ .

هِيهَاتَ قَدْ حَانَ وَقْتُ فِرْقَتِنَا .: وَاَنْبَتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْقَرْنُ
وَخَانَنِي الصَّبْرُ اِذْ فُجِعْتُ بِهِ .: وَلَيْسَ عِنْدِي لِوَاعِظٍ اُذُنُ
تَرَكَّتِي سَاهِدًا اِذَا هَجَعَ النَّا .: سِ اَحَا لَوْعَةَ اِذَا سَاكَنُوا
لِلّهِ مَا اَهْدَتِ الرِّجَالُ اِلَى الْ .: قَبْرٍ وَمَا شَدَّوْا وَمَا دَفَنُوا
مَنْ يَسِلُ شَيْئًا فَاِنَّ لَوْعَتَهُ .: لَيْسَ يَعْفِي آثَارَهَا الرِّزْمُ (١)

وفي شعره يشير إلى تخلُّقه بخلق الوفاء ، فيقول مُفْتَخِرًا :

اِحْبُ الوَفَاءَ اِذَا مَا وَعَدْتُ .: تِ وَالْاَيُّعَابَ بِمَطْلٍ ضَمَانِي
كَذَلِكَ عَوْدِنِي وَالْاِدَائِي .: فَعَوَّدْتُ نَفْسِي الَّذِي عَوَّدَانِي (٢)

وفاته :

فاضت روح المهدي إلى بارئها في سنة أربع وعشرين ومائتين ، يوم الجمعة لسبع خلون من شهر رمضان ، وصلى عليه المعتصم بالله أمير المؤمنين (٣) رحم الله موتى المسلمين جميعًا ، وأحسن إليهم ، وألحقنا بهم متمسكين بحبله . تعالى . المتين ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى أعلم .

(١) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٢١ .

(٢) شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٢٧ .

(٣) تاريخ بغداد ٦ / ١٤١ .

المبحث الأول

بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق الغزل واستعطاف الصّاحبة

من الأغراض الشعريّة التي كان للامتداد بالاعتراض حضور واضح في شعر الخليفة المغنّي (إبراهيم بن المهدي) غرض الغزل ، واستعطاف الصّاحبة ، حيث وظّف الشّاعر أسلوب الاعتراض لتحقيق مُرادِه ، ومن ثمّ فإنّ أسلوب الاعتراض في شعر إبراهيم بن المهديّ من دواعي مقتضى الحال ؛ إذ وظفه الشّاعر اتّمةً توظيف لتلبية حاجات المعنى ، وتحقيق أغراضه ومقاصده ، وهذا شأن كلّ كلام بليغ يؤثر في نفوس سامعيه .

هذا ، وقد جاء الامتداد بالاعتراض في مقام الغزل ، واستعطاف الصّاحبة ، في عدّة مواضع :

الأول منها قوله :

لا أرى في سواك ما فيك من طيب . . . ب ومن بهجة ومن ریحان

فاذا كنت لي وفيك الذي في . . . ك فَمَا حَاجَتِي إِلَى الْبُسْتَانِ (١)

الثاني قوله :

وتُخْبِرُنِي عَنْ قَلْبِهَا فَكَأَنَّهَا . . . إِذَا صَدَقْتُ عَنْهُ تَحَدَّثُ عَنْ قَلْبِي (٢)

الثالث قوله :

كَبُرَ الْحُبُّ وَقَدْ مَأ . . . كَانِ إِذْ حَلَّ صَغِيرًا (٣)

(١) البيتان من الخفيف . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٢٨ .

(٢) البيت من الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٢٠ .

(٣) البيت من مجزوء الرمل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٥١ .

الرابع قوله :

قالت نظرت إلى غيري فقلت لها .: وماء الدمع من عيني محدود
نفسى فداؤك طرف العين مشترك .: والقلب مني عليك الدهر مقصور
العين تنظر أحياناً وباطنهُ .: ممّا يقاسي بظهر الغيب مستور^(١)

الخامس قوله : في ثانيا عتاب صاحبة واستعطافها :

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي .: لها عسل مني وتبذل علقما
فردّي مصاب القلب أنت قتلتيه .: ولا تزكّيه هائم القلب مغرماً^(٢)
فأمّا قوله :

لا أرى في سواك ما فيك من طيب .: ب ومن بهجة ومن ريحان
فإذا كنت لي وفيك الذي في .: ك فمّا حاجتي إلى البستان
فقد اعترضت جملة الاعتراض : (وفيك الذي فيك) بين الشّرط وجزائه ، وقد
مدّ بها الشّاعر المعنى للتأكيد على ما تتمتع به تلك الصّاحبة من حسن وجمال ،
فقد قرّر الاعتراض ما صورّه الشّاعر قبلا في أبيات المقطوعة من حسن وطيب
وزهاء وبهجة ورائحة زكية كرائحة الرّيحان ، عند قوله :

خلّتها في المعصّفات القواني .: وردة في شقائق النعمان^(٣)

(١) الأبيات من البسيط . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٥٤ .

(٢) البيتان من الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٣٠١ .

(٣) المعصّفات القواني : العصفّر ما يصبغ به الثوب ، وهو نبت بأرض العرب . ينظر : لسان
العرب . مادة (عصفر) . وفي المعجم الوسيط : عصفر الثوب وغيره صبغه بالعصفر ، وهو
نبات صيفي من الفصيلة المركبة ، أنبوبية الزهر ، يستعمل زهره تابلا ، ويستخرج منه صبغ
أحمر يصبغ به الحرير ونحوه . ينظر : مادة (عصفر) . =

أَنْتِ تَفَاحَتِي وَفِيكَ مَعَ النَّفِّ . : . فَا حِ رُمَانَتَانِ فِي غُصْنِ بَانَ
لَا أَرَى فِي سِوَاكَ مَا فِيكَ مِنْ طِيْبٍ . : . بٍ وَمِنْ بَهْجَةٍ وَمِنْ رِيْحَانِ
حيث شبّه الشاعر في صدر المقطوعة هيئة الصّاحبة في ثيابها المصبوغة بالألوان
الزاهية بهيئة وردة في شقائق النعمان الحمراء والصفراء والخضراء ، والوجه :
الهيئة الحاصلة من اجتماع الألوان الزّاهية .

ثمّ راح الشاعر- على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وغرضه الإقبال
المفيد تشريف المخاطب ، وإبراز مزيد العناية والاهتمام بتلك الصاحبة . يشبهها
بالتفاح ، ويشبه صدرها بالرمان ، حُسنًا وجمالًا ، وقوامها بغصن البان حُسنًا ولينا
واستقامة .

مع ما في الاعتراض هنا : (وفيك الذي فيك) من تفخيم وتهويل لا يخفى
على ذي عينين ، إذ أفاد المُبالغة في الحُسن والجمال إلى غير حدّ ؛ لأنّ الاعتراض
بقوله : (وفيك الذي فيك) يشمل محاسن تلك الصاحبة في أبيات المقطوعة
الأربعة ، وغيرها ممّا لم يذكره الشّاعر ، وفي هذا ما فيه ؛ إذ إنّ " المعنى المقصود

= القواني : يقال قانى الشيء الشيء خالطه ، والشيء بالشيء خلطه ، يقال : قانى
الصوف بالحريز والبياض بالصفرة والمال قام عليه . ينظر المعجم الوسيط . مادة (قنى).
شقائق النُعمان : منسوبة إلى النُعمان بن المنذر ، وكان خرج إلى الظّهر ، وقد اعتَمَ نَبته
من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال :
ما أحسنها ! احموها ، فحموها ، فسُمّيت شقائق النُعمان . ينظر : المعارف
لابن قتيبة : (أبي محمد عبدالله بن مسلم) . تح : د ثروت عكاشة ص ٦١٠
ط : دار المعارف . القاهرة . ط : الرابعة . من دون تاريخ .

إذا ورد في الكلام مُبهما ، فإنه يفيد بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة ؛ وذلك لأنه إذا قرع السَّمع على جهة الإبهام ، فإنَّ السَّمع له يذهب في إبهامه كل مذهب " (١) هذا وقد جاء الاعتراض : (وفيك الذي فيك) في ثوب الإجمال بعد التفصيل ، إذ كان موضع الشَّاهد في ختام أبيات المقطوعة ، فترى الشَّاعر قد تركك وقد أصفى على تلك الصَّاحبة من صفات الأُنس والسُّرور ما يجعله في غير حاجة إلى البُستان ، فالإجمال بما فيه من إبهام أنبأ عن وضوح مقصود الشَّاعر في تصوير حُسن تلك الصَّاحبة ، إذ أفاد الإجمال والتفصيل حُسنها الكلي ، فهي تعجب بجُمليتها ، وأفاد أيضًا حُسنها الجزئيَّ التفصيليَّ ، فكل شيء فيها حسن .

فالاعتراض في البيت الأخير من المقطوعة :

فَإِذَا كُنْتُ لِي وَفِيكَ الَّذِي فِي . . . كِ فَمَا حَاجَتِي إِلَى الْبُسْتَانِ
أشعرك بتمام القول ، وأنَّ الشَّاعر يختم نظمه ، وقد وُفق ؛ لأنَّ حُسن الختام يتحقَّق في البيان البليغ ، إذا جعل " المتكلِّم آخر كلامه عذب اللفظ ، حسن السَّبك ، صحيح المعنى ، مُشعرا بالتمام حتَّى تتحقَّق براعة المقطع بحسن الختام ، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع ، وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به ، يعني أن يكون آخر الكلام مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع مُؤدنا بالانتهاء ، بحيث لا يبقى تَشوُّقا إلى ما وراءه " (٢)

(١) الطَّرَاز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي . تح : د / عبد الحميد هنداوي ٢ / ٤٤ . ط : المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . السيد أحمد الهاشمي . ضبط وتدقيق وتوثيق : د / يوسف الصميلي ص ٣٤٤ . ط : المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . من دون تاريخ .

هذا ، وقد وقع الاعتراض موقعه من الكلام ، حتَّى لكأنَّه قد امتزج مع الشَّرط وجزائه امتزاجاً تاماً ، وصار جزءاً لا ينفصل عن فعل الشَّرط بحال ، وهذا من بديع السَّبكِ ، وحسن الترتيب الذي يشي بالحسِّ الشديد بمواقع الألفاظ والعبارات ، فـ " لو أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ هَيَّأَ لَهَا مَكَاناً غَيْرَ الْاِعْتِراضِ لَمَا انْتَفَتِ السَّامِعُ إِلَيْهَا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَلْتَفَتُ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْجُمْلِ " (١)

كما يُعدُّ الاعتراض هنا في البيت وسيلةً من وسائل الترابُّط بين أبيات المقطوعة ، فما من وصف إلا ويشمله قوله : (وَفِيكَ الَّذِي فِيكَ) فالتفصيل والإجمال أحد وجوه التناسب في النص الأدبيّ التي تُحدث تماسكاً أول الأبيات بآخرها ، وتربط بينها برباط وثيق .

وتكرار الجار (في) والمجرور ثماني مرات (فِي الْمُعْصَفَرَاتِ ، فِي شَقَاتِقِ ، وَفِيكَ مَعَ ، فِي عُصْنِ ، فِي سِوَاكِ مَا فِيكَ ، وَفِيكَ الَّذِي فِيكَ) وعدم خلو بيت من أبيات المقطوعة منه ، واختصاص خمسة منها بخطاب صاحبة : (وَفِيكَ مَعَ فِي سِوَاكِ مَا فِيكَ ، وَفِيكَ الَّذِي فِيكَ) ما يوحي بفرط الإقبال على مُناجاتها والحديث معها .

ثمَّ إنَّ تكرار الجار والمجرور المقترن بكاف الخطاب هنا يمثِّل أداة من أدوات السَّبكِ النَّصِّيِّ ؛ إذ إنَّ خطاب الصَّاحبة لم يخفت في الأبيات ، كما هو واضح .
والمُتأمل كذلك يجد أنَّ الاعتراض بقوله : (وَفِيكَ الَّذِي فِيكَ) مُتناسل من قوله : (لَا أَرَى فِي سِوَاكِ مَا فِيكَ) وكأنَّ ما بينهما ما يُشبهه علاقة الأصل بفرعه .
وأما قوله :

وَتُخْبِرُنِي عَنْ قَلْبِهَا فَكَأَنَّهَا .: إِذَا صَدَقْتَ عَنْهُ تُحَدِّثُ عَنْ قَلْبِي

(١) مُراجعات في أصول الدرس البلاغي ص ١٢٧ .

فهو بيت وحيد في الديوان ، لم يوجد معه من الأبيات ما يُجاوره ، فقد غلب ورود شعر إبراهيم بن المهدي في شكل مقطوعات ليست طويلة ، أمّا الفصائد الطويلة في الديوان فهي قليلة .

وأفاد أسلوب الاعتراض في قوله : (إِذَا صَدَقْتُ عَنْهُ) تصوير بالغ عشق الشاعر لمحبيته ، فحبّ المحبوبة له لا يعادل حبّه لها إلا إذا لازم الصّدق خبرها عن مدى عشقها له ، وهذا يرمز إلى المبالغة في تمكّن الحبّ وتغلّغه في قلبه ، وإيثار التعبير بلفظ الصّدق يتناسب مع لفظتي : (تخبرني ، تحدث) إلى حدّ كبير ، فالصّدق أحد وصفَي الخبر والحديث .

فأسلوب الاعتراض هنا تجده قد حقّق جمالية قصدها الشاعر وعناها ، وهي تقييد حال المحبوبة بالصّدق عن طريق الشرط المُصدّر بـ (إذا) التي تدلّ على القطع بمضمونه ، والتقييد كان ضرورياً لتحقيق صورة التشبيه التي تُترجم إحساس الشاعر وشعوره .

فالبيت في تشبيه الهيئة الحاصلة لحديث المحبوبة في إخبارها عن ما في قلبها من مشاعر جيّاشة تجاه صاحبها ، وقد اتّصف حديثها بالصّدق المُطلق ، بالهيئة الحاصلة لإخبار الشاعر صاحبه عن ما في قلبه تجاهها .

والناظر يجد أنّ أسلوب الاعتراض في البيت قد شكّل بنية رئيسة في بناء التشبيه ، فالتشبيه هنا لا يستقيم ، ولا يتأتّى . بسُقوط الاعتراض . مراد الشاعر بحال من الأحوال ، ثمّ إنّ تغلّغ الاعتراض . ولاسيّما أنّه في قالب الشرط . في بنية التشبيه قد شكّل تماسكاً وترابطاً ، لا يخفى على مُتأمّل .

هذا ، وقد عاون التكرار أسلوب الاعتراض هنا في تحقيق التماسك النَّصِّي ، فالمتأمّل يجد (تخبرني ، تحدث) وهما لفظتان مترادفتان ، تخبران في البيت عن

مدى إصغاء الشَّاعر لحديث المحبوبة ، واستمتاعه به وتلذذه كغيره من المُحِبِّين ، ولم لا وكلام المرأة يُطفئ النَّارَ ، كما يَقُولُونَ ؟ .

ويرى النَّاظِرُ أيضًا تَكَرُّرَ لَفْظَتِي (عَنْ قَلْبِهَا ، عَنْ قَلْبِي) فَاتِّكَاءَ الشَّاعِرِ عَلَى تَكَرُّرِ ذِكْرِ الْقَلْبِ فِي الْبَيْتِ يُنْبِئُ عَنْ فَرْطِ اِمْتِلَاءِ فُؤَادِهِ بِالْعَشْقِ وَالْهَوَى .

وفي قول إبراهيم بن المهدي :

كَبُرَ الْحُبُّ وَقَدِمًا .: كَمَا أَنَّ إِذْ حَلَّ صَغِيرًا

امتدَّ الشَّاعرُ بِأَسْلُوبِ اِلْعِرَاضِ الْمُصَدَّرِ بِالظَّرْفِ : (إِذْ حَلَّ) بَيْنَ كَانٍ وَخَبْرِهَا : (وَقَدِمًا كَان .. صَغِيرًا) لِيُضْفِيَ عَلَى الْحُبِّ وَصْفَ الْحُلُولِ الَّذِي يُنْبِئُ عَنْ خُفَةِ نَزْوِهِ ، وَسُهُولَةِ وَصُولِهِ ، وَنَفَاذِهِ مَبَاشِرَةً إِلَى الْقَلْبِ ، وَكَأَنَّهُ يَتَسَلَّلُ إِلَيْهِ دُونَ اسْتِنْدَانٍ ، فَالْفِظُ الْحُلُولُ يَتَنَاسَبُ مَعَ الْمَعَانِي الْقَلْبِيَّةِ أَتَمَّ تَنَاسُبٍ . قَالَ الرُّمَّانِيُّ : " الْحُلُولُ : النُّزُولُ لِلْمَقَامِ ، وَهُوَ مِنَ الْحَلِّ خِلاَفِ اِلْرِتْحَالِ ، وَحُلُولُ الْعَرَضِ وَجُودِهِ فِي الْجَوْهَرِ مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ وَلَا حِيْزٍ " (١)

وقد كان للطباق بين (كَبُرَ و صَغِيرًا) نصيب في توضيح المعنى وتوكيده ، حيث أبرز الطباق أحوال الحبِّ وأوصافه التي يكون عليها ، وللطباق دور كذلك في تماسك النَّصِّ ولاسيما أنه قد وقع في طرفي البيت كما ترى .

وقد كان كذلك لتكرار كلمة الحب في المقطوعة أثر بين في تماسك النَّصِّ ، إذ بان التكرار كالرِّبَاطِ الْوَثِيقِ الَّذِي يَشُدُّ أَبْيَاتَ الْقَصِيدَةِ بِأَحْكَامٍ ، ففِي الْمَقْطُوعَةِ يَقُولُ :

جَدَّدَ الْحُبُّ بِلَايَا .: أَمْرَهَا لَيْسَ يَسِيرًا

كَبُرَ الْحُبُّ وَقَدِمًا .: كَمَا أَنَّ إِذْ حَلَّ صَغِيرًا

نَزَّلَ الْحُبُّ رِقَابَهَا .: كَمَا أَنَّ أَدْنَاهَا عَسِيرًا

(١) التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . تح : أحمد حبيب قصير العاملي ٥ / ٤٨٤ . ط : دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .

لَيْسَ لِي مِنْ حُبِّ الْفِي .: غَيْرُ حِرْمَانِي السُّرُورَا
وَالْمُتَأَمِّلُ لِأَبْيَاتِ الْمَقْطُوعَةِ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَحُلْ بَيْتَ مِنْهَا مِنْ ذِكْرِ الْحُبِّ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ
لِغَنَّا الْعَرَبِيَّةَ " لُغَةً مَصْفَاةً وَمُرَكَّزَةً ، فَلَا تَسْمَحُ لِلشَّاعِرِ بِاسْتِخْدَامِ الْفَلْظِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
هُوَ الْفَلْظُ الْاَوْحَدُ الَّذِي يَحْمِلُ أَكْبَرَ طَاقَةٍ مِنَ الْفَعَالِيَّةِ فِي السِّيَاقِ " (١)

بَلْ إِنَّ " مِنْ الطَّرُقِ الْمُتَّبَعَةِ فِي تَقْوِيَةِ الْاَدَاءِ تَرْدِيدَ الْفَلْظِ بِنَصِّهِ ، أَوْ تَرْدِيدَ الْمَعْنَى
الْوَحْدَ بِلْفِظٍ مُخْتَلَفٍ ، وَهَدْفَهُ الْاَسَاسِيَّ التَّكْيِيدَ ، وَزِيَادَةَ التَّقْرِيرِ فِي الذَّهْنِ ، وَأَغْلَبَ مَا
يَقَعُ التَّرْدِيدُ لِلْاَدِيبِ وَلا سِيَّامَا الْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ فِي حَالِ الْهِيَاجِ .. وَيَحْتَاجُ التَّرْدِيدَ بِوَجْهِ
مَخْصُوصٍ إِلَى حَذَقٍ فِي اخْتِيَارِ مَوَاقِعِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُضٌ لِلْفَسَادِ ، وَسُرْعَانِ مَا يَتَحَوَّلُ
مِنْ مُحَسَّنٍ إِلَى ضَدِّهِ " (٢)

فَتَكَرَّرَ الْكَلِمَةُ هُنَا أَنْبَأَتْ عَنِ امْتِلَاءِ نَفْسِ الشَّاعِرِ ، وَهِيَاجِ فَوَادِهِ بِالْمَعْنَى ،
وَلا سِيَّامَا أَنَّ الشَّاعِرَ هُنَا فِي هَذِهِ الْاَبْيَاتِ يَجَسِّدُ مَعَانِيَهُ ، وَيَصَوِّرُ مَتَاعِبَ الْحُبِّ وَآلَامَهُ ،
فَفِي الْمَقْطُوعَةِ تَجِدُ اَلْفَازِطَا تَكَاثَرَتْ عَلَى تَصْوِيرِ ذَلِكَ ، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ :
(جَدَّدَ الْحُبُّ بِلَايَا ، لَيْسَ يَسِيرَا ، دَلَّلَ الْحُبُّ رِقَابَا ، عَسِيرَا ، حِرْمَانِي السُّرُورَا)

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي مَقْطُوعَةِ عَدَّتْهَا هَذِهِ الْاَبْيَاتِ الْثَلَاثَةَ ، جَاءَتْ فِي عِتَابِ الصَّاحِبَةِ
وَاسْتِعْطَافِهَا :

قَالَتْ نَظَرْتُ إِلَى غَيْرِي فَقُلْتُ لَهَا .: وَمَاءُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي مَحْدُورُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ طَرْفُ الْعَيْنِ مَشْتَرِكُ .: وَالْقَلْبُ مِنْ عَيْنِكَ الدَّهْرُ مَقْضُورُ

(١) الشعر العربي المعاصر . قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية . د / عز الدين إسماعيل ص

١٨٤ . ط : دار الثقافة . بيروت . ١٩٦٦ م .

(٢) الدراسة الأدبية . رئيس خوري ص ٤٢ . ط : مؤسسة هندواوي . ٢٠٢٠ م .

الْعَيْنُ تَنْظُرُ أَحْيَاناً وَبَاطِنُهُ .: مِمَّا يُقَاسِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَسْنُورٌ^(١)
 فقد امتدَّ الشَّاعِرُ بِجُمْلَةٍ اعْتِرَاضِيَةٍ ، بَيْنَ فِعْلِ الْقَوْلِ وَمَقُولِهِ ، عِنْدَ قَوْلِهِ فِي
 الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : (وَمَاءُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي مَحْدُورٌ) كَانَ لَهَا بِالْغَايَةِ الْأَثَرُ فِي تَصْوِيرِ فَرْطِ
 التَّحَزُّنِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى زَعْمِ الصَّاحِبَةِ بِأَنَّهُ يَهْوَى غَيْرَهَا ، ثُمَّ إِنَّ سَقُوطَ الدَّمْعِ مِنْ
 عَيْنِهِ كَافٍ عَلَى صِدْقِ كَلَامِهِ ، وَتَبَرُّةِ سَاحَتِهِ ، مِنْ فِعْلِ لَمْ يَقْتَرِفْهُ ، وَمِنْ ثَمَّ بَدَأَ
 الشَّاعِرُ . عَنَايَةً وَاهْتِمَامًا . بِحَكَايَةِ انْهَمَارِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ بِكَثْرَةٍ ، دَرَعًا لِلتَّهْمَةِ ،
 وَاسْتِعْطَافًا لِلصَّاحِبَةِ ، وَإِقْنَاعًا لَهَا ، وَلَوْ سَقَطَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْاعْتِرَاضِيَةُ مِنَ الْبَيْتِ
 لَضَاعَتْ أَقْوَى حُجَجِ الشَّاعِرِ ، وَأَكْثَرُهَا أَثْرًا عَلَى نَفْسِ صَاحِبَتِهِ ، وَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ
 تَبَرُّةِ سَاحَتِهِ ؛ لِأَنَّهَا الْأَقْوَى مِنْ بَيْنِ أَدَلَّةِ النَّفْيِ ، الَّتِي حَكَاهَا الْمُتَّهَمُ الْبَرِيءُ فِي
 الْبَيْتِ الثَّانِي عِنْدَ قَوْلِهِ :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ طَرْفُ الْعَيْنِ مَشْتَرِكٌ .: وَالْقَلْبُ مِنْي عَلَيْكَ الدَّهْرُ مَقْصُورٌ
 فَقَوْلُهُ : (نَفْسِي فِدَاؤُكَ) دُعَاءٌ مَطْرُوقٌ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، يُتْرَجَمُ فَرْطُ الْحُبِّ
 وَالْعِشْقِ بَيْنَهُمَا ، فَمَنْ يُفَدِّي الصَّاحِبَ وَالْمُحِبُّوبَ بِنَفْسِهِ أَيْنَظِرُ إِلَى غَيْرِهِ ؟
 وَقَوْلُهُ : (طَرْفُ الْعَيْنِ مَشْتَرِكٌ) مَعْنَى لَطِيفٌ كَرِيمٌ ، لَمْ أَقْرَأْ مِثْلَهُ ، حَيْثُ تَرَاهُ
 يَخْبِرُ صَاحِبَتَهُ بِأَنَّهَا يَنْظُرَانِ بَعِينٍ وَاحِدَةً ، فَنَظَرَاتِ عَيْنِهِ لَا تَخْفَى عَلَيْهَا ، فَقَوْلُهُ إِذَا

(١) محذور : الحدُّ من كل شيء تحدُّه من غلُوِّ إلى سفلٍ ... وحدَرَ الدمعُ يحدُّه حدراً وحدوراً
 وحدَّره فانحدَرَ وتحدَّرَ أي تنزَّلَ . ينظر : لسان العرب . مادة (حدر) .

الدهر في الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه ، وعلى ذلك قوله تعالى :
 (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) (الإنسان : ١) ، ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة
 وهو خلاف الزمان ، فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة ، ودهر فلان مدة حياته ،
 واستعير للعادة الباقية مدة الحياة فليل : ما دهري بكذا . ينظر : مفردات ألفاظ القرآن
 للراغب الأصفهاني . تح : صفوان عدنان داوودي . مادة (دهر) . ط : دار القلم . دمشق .
 ط : رابعة . ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .

حُجَّةٌ دَامِغَةٌ عَلَى الصَّاحِبَةِ ، وَفِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ عَلَى سَلَامَةِ جَانِبِهِ مِنْ زَعْمِ الصَّاحِبَةِ ، وَاسْتِعْطَافِهَا ، وَالتَّأْثِيرِ عَلَيْهَا مَا لَا يَخْفَى .

وَإِذَا اعْتَبَرْنَا أَنَّ مُرَادَ الشَّاعِرِ مِنْ قَوْلِهِ : (طَرَفُ الْعَيْنِ مَشْتَرِكٌ) أَنْ يُوَضِّحَ لِلصَّاحِبَةِ أَنَّ عَيْنَهُ مَشْتَرِكَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا ، وَأَنَّ النَّظْرَ إِلَى غَيْرِهَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِثْلَهُ ، مَا دَامَ الْقَلْبُ لَهَا وَحْدَهَا ، فَحَجَّتْهَا لَهَا وَاهِيَةٌ ، وَإِقْنَاعُهُ بَاهِتٌ ، إِذْ أَيُّ صَاحِبَةِ هَذِهِ الَّتِي تَسْمَحُ لِلْحَبِيبِ بِمِثْلِ ذَلِكَ ؟ إِنَّهُنَّ يَبْغِينَ مِنَ الْحَبِيبِ عَيْنَهُ وَفَوَادَهُ ، فَلَا يَرَى الْمُحِبَّ غَيْرِهَا ، وَلَا يَعْتَشِقُ سِوَاهَا .

ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ : (وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَيْكَ الدَّهْرُ مَقْصُورٌ) نَاطِقٌ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَعْرِفُ سِوَاهَا ، تَأَمَّلْ طَرِيقَةَ النَّظْمِ الْبَدِيعَةَ هُنَا ، حَيْثُ تَرَى تَقْدِيمَ (مِنِّي عَلَيْكَ الدَّهْرُ) عَلَى الْمُسْنَدِ (مَقْصُورٌ) وَتَوَالِي حَرْفِي الْجَرِّ (مِنِّي عَلَيْكَ) لِتَصْوِيرِ أَنَّ الْقَلْبَ وَهُوَ وَحْدَهُ الْمَسْئُولُ عَنِ الْحُبِّ وَالْعَشْقِ ، مَخْتَصٌّ بِالصَّاحِبَةِ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ غَيْرَهَا فَالِاسْتِعْلَاءُ الْمَفَادِ مِنْ (عَلَى) هُنَا اسْتِعْلَاءُ إِحَاطَةِ وَاشْتِمَالِ يُصَوِّرُ أَنَّهُ عَاشِقٌ لْجَمِيعِهَا ، وَأَنَّهُ لَنْ يَنْفَكَّ عَنْهَا بِحَالٍ ، مَعَ مَا فِي إِثَارِ التَّعْبِيرِ بِـ (الدَّهْرُ) الدَّالِّ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ الزَّمْنِيَّةِ ، مِنْ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ قَصَرَ نَفْسَهُ عَلَى حُبِّ صَاحِبَتِهِ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا ، وَفِي هَذَا مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي حِفْظِ الْوَدِّ وَالِإِخْلَاصِ لِلْمُحِبُّوبِ مَا فِيهِ .

وَفِي هَذَا أَيْضًا مَا فِيهِ مِنَ الْبِرْهَانِ عَلَى كَمَالِ الْحُبِّ وَالْعَشْقِ لَهَا ، وَفِيهِ أَيْضًا مِنَ الْاسْتِعْطَافِ وَالِإِقْنَاعِ وَالتَّأْثِيرِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي عَيْنِينَ .

إِنَّ دَمُوعَ الشَّاعِرِ الَّتِي تَحَدَّرَتْ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَالَّتِي أُفْرِغَتْ إِفْرَاغًا جَيِّدًا فِي قَالْبِ الْإِعْتِرَاضِ : (وَمَاءُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي مَحْدُورٌ) هِيَ الرَّافِدُ الْخَصِيبُ الَّذِي غَدَّى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي سَبَّكَهَا الشَّاعِرُ لْغَرَضِ إِقْنَاعِ الصَّاحِبَةِ ؛ إِذْ كَانَتْ بِمَثَابَةِ الْمَائِعِ الَّذِي يَعِينُ عَلَى امْتِزَاجِ وَتَلَاحُمِ وَتَمَاسُكِ الْأَشْيَاءِ الْجَافَةِ بِبَعْضِهَا .

هذا ، وقد صاغ الشاعر الجملة الاعتراضية في قالب الاسمية : (وَمَاءُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي مَحْدُورٌ) للتأكيد على استمرار تحزنه وتحسره ، وإبراز أن حزنه بعد تحقق البراءة باقٍ أثره في نفسه لا يزول ، وفيه شوب العتاب على ما يبدو .
والمُتأمل هنا يبين له أن ردّ المحبّ عن اتّهام صاحبة له هو المعنى الرّئيس في تلك المقطوعة ، وقد جاء الاعتراض الكاشف عن الحال بقوله : (وَمَاءُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي مَحْدُورٌ) وكأنه أمانة تُجسّد الصدق ، فقد يستعين المحب الصدوق أحيانا بالدموع لتبرئة السّاحة ، أفلا ترى معي أنّ تلك الدموع التي انحدرت جزء من ردّ المحب ، لا يقل عن الجواب بحال ؟ بل إنّ تلك الدموع في ظنيّ أبلغ من الجواب ، وأكمل ، ومن ثمّ فليس الاعتراض غريبا عن المعنى الرّئيس بحال .
ثمّ يأتي . وقد أكمل الحجة وأحسن الاستعطاف . قوله :

الْعَيْنُ تَنْظُرُ أَحْيَانًا وَبِاطْنَهُ . : مِمَّا يُقَاسِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَسْتَوْرٌ
وفيه يُخبر المحبوبة بأنّ النّظر بالعين وإنّ حصل لا يمثّل شيئا في ميدان الحبّ والعشق ؛ لأنّ قلبه لشدة ما يُقاسيه من آلام حُبّها ومتاعب عشقها مستور لا يرى شيئا غيرها ، فهو مشغول بحبها وحدها ، وفي هذا أيضا إشارة إلى عظم القيام بحقوق عشق واحدة ، فكيف يطيق الرجل عشق أخرى ؟ .

وفي تسمية القلب بالباطن تناسب واضح مع قوله : (بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَسْتَوْرٌ) وقد كان إيثار التعبير عن القلب بلفظ : (وباطنه) لغرض إبراز فُرط احتجاب القلب وتستره ، وأنّه في جوف مُطمئن من نفس الشاعر ، تأنيسا للصّاحبة بأنّ القلب مثنوى حُبّها هي وحدها ، وأنّ النّفاذ إليه . بسبب انشغاله . من الغير أمر عسير .
وقوله : (مِمَّا يُقَاسِي) اعتراض امتدّ به الشاعر لغرض استعطاف الصّاحبة ، وحثّها على مزيد من الوصال ، وفيه من تبيان صُغوية حمل العشق في الفؤاد ، وأنّه ليس بالشيء اليسير ما لا يخفى .

فالاعتراض في البيت أسهم بشكل بَيِّن في إبراز مُراد الشاعر ومقصوده ، حيث جعله أداة التأثير النافذة إلى نَفْس الصَّاحِبَة وفؤادها ، وقد كان مُرتكزا أساسيا بنى عليه الشَّاعر أغراضه الرَّئِيسَة التي نظم من أجلها بيان الشاعر ، وقد تناثرت منه أنسجة متينة ربطت بعض الكلام ببعض ، فمن دون الاعتراض قد يتخلل النَّص ، وتفتكك أوصاله وأواصره ، وفي هذا من قُبْح البيان ما فيه .

وفي قوله . وهو ممَّا غناه إبراهيم بن المهدي :

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي . : لها عسلٌ مني وتبذلُ علقما
فردِّي مُصابَ القلبِ أنتِ قتلته . : ولا تتركيه هائمَ القلبِ مُغرما (١)

امتدَّ الشَّاعر بأسلوب الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (٢) (أسلوبِي الأمر والنهي) بقوله : (أنتِ قتلته) في البيت الثاني عند قوله : (فردِّي مُصابَ القلبِ أنتِ قتلته ولا تتركيه هائمَ القلبِ) وغرضه المُبالغة في أثر بخل الصاحبة ، وعدم مقابلة الود بمثله ، على نفس الشاعر ، وفيه أيضا تصعيد لحدة خطاب العتاب والشكوى بينه وبين صاحبتة ، وتسجيل فعل القتل عليها دون غيرها ، وتعنيفها .

(١) سماحتي : السَّمَاخُ والسَّمَاحةُ الجُودُ ... سَمَحَ وَأَسَمَحَ إذا جاد وأعطى عن كَرَمٍ وسخاءٍ ... ولقد سَمَحَ بالضم سَمَاحةً وجاد بما لديه وأسَمَحَتِ الدابة بعد استصعاب لانت وانقادت ، ويقال سَمَحَ البعير بعد صعوبته إذا نلَّ ، وأسَمَحَتِ قُرُونَتُهُ لذلك الأمر إذا أطاعت وانقادت . ينظر : لسان العرب . مادة (سمح) .

(٢) من صور وقوع الاعتراض بين المتعاطفين قوله تعالى : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَفَلْنَا اضْرِبُوهُ بِنِعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) (البقرة : ٧٢ ، ٧٣)

فقد بدأ الشَّاعرُ الملُكُومُ ببثِّ آهاتِ الهجرِ وزفراتِ الحِرمانِ عندِ قولِهِ : (إلى اللهِ أَشْكُو بُخْلَهَا وَسَمَاحَتِي) وفيهِ يشكو تناقُضَ فِعَالِهَا معَ ما يجبُ مِنْهَا ، فالصَّاحِبَةُ تبخلُ ، والشَّاعرُ يَجُودُ ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ الأَسَى والغضبُ والحُزنُ ، وقد آثرَ الشَّاعرُ قَصْرَ الشَّكَايَةِ على اللهِ تعالى وحده دونِ سِوَاهُ ، قَصْرَ صِفَةِ على موصُوفٍ ، بتقديمِ ما حَقَّهُ التَّأخِيرُ : (إلى اللهِ أَشْكُو بُخْلَهَا) لتصويرِ فداحةِ الجُرمِ المُقْتَرَفِ وقبحِهِ مِنْ تِلْكَ الصَّاحِبَةِ ، فليسَ هُنَاكَ أهدُ يقدرُ على إنصافِهِ ورفعِ الظُّلمِ عَنهُ سِوَى اللهِ تعالى ، وتُوحِي أَيْضًا جُمْلَةُ القصرِ هُنَا " بِالْيَأْسِ مِنَ الحَبِيبِ ، وَالإلتجاءِ إلى اللهِ " (١) .

ثُمَّ إِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَشْكُ الصَّاحِبَةَ ، وَإِنَّمَا صَوَّبَ الشَّكَايَةَ نَحْوَ البُخْلِ ، لِأَنَّهُ السَّبَبُ الرَّئِيسُ فِي غِيَابِ الوَصْلِ وفُقدانِ المودَةِ وضياعِ المحبَةِ .

وقولِهِ : (لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبْدُلُ عَلْقَمًا) يُوَكِّدُ تناقُضَ فِعَالِ الصَّاحِبَةِ ، وعدمِ مقابلتِهَا الإحسانِ بِمثَلِهِ ، والعسلُ هُنَا مُستعارٌ للفعالِ الطيبةِ التي يبذلُهَا الشَّاعرُ ، كما أَنَّ العَلْقَمَ مُستعارٌ لقبيحِ الفعالِ التي تصدرُ عَن صاحِبَتِهِ ، والمُتأملُ لطريقةِ النِّظْمِ يَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ قد قَدَّمَ المُسندَ على المُسندِ إِلَيْهِ (لَهَا عَسَلٌ مِنِّي) لإبرازِ فرطِ عنايةِته واهتمامِهِ بِهَا ، كما أَنَّ إِيثارَ (مِنْ) الجارَّةِ المُفيدةِ لِلإبتداءِ يُوحِي بِجليلِ تلكِ الفعالِ الطيبةِ التي يبذلُهَا الشَّاعرُ لصاحِبَتِهِ ، وفي ذلكِ أَيْضًا إشارةٌ إلى كرمِ النَّفْسِ .

وآثرَ التعبيرِ بالبِذْلِ في قولِهِ : (وَتَبْدُلُ عَلْقَمًا) للإشارةِ إلى أَنَّ الصَّاحِبَةَ تبذلُ مَرَّ الفِعَالِ كَالهَجْرِ ونحوِهِ عَن رِضا وطيبِ نَفْسِ ، وكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَشِيرُ إلى تَعَمُّدِ الفِعْلِ وقصدِهِ والرِّضَا عَنهُ ، وَأَنَّ تِلْكَ الفِعَالِ التي تصدرُ عَنها لَيْسَتْ عَفْوِ الخَاطِرِ .

(١) ينظر: مصارع العشاق لجعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي . تح : محمد حسن

محمد حسن إسماعيل ، و / أحمد رشدي شحاته ١ / ٣٩ . هامش رقم (١) . ط : دار

الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .

هذا ، و " يبرز من خلال التضاد (بخلها ، سماحتي) (لها عسل مني ، تبذل علقما) ما يُقاسيه المُحِبُّ من الحبيب ، فإن كان لا يقابل الحب بمثله ، فلا أقلّ من أن يُداوي ما أصاب ، فمن أفسد شيئا فعليه إصلاحه (فُرْدِي مُصَابِ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتَلْتِهِ) " (١)

ثمَّ إِنَّ اِیْثارَ اُسْلُوبِ اْأمر : (فُرْدِي مُصَابِ الْقَلْبِ) وإردافه بالنهي : (وَلَا تتركِيهِ هَائِمِ الْقَلْبِ) في خطاب الصّاحبة ، وهما من الأساليب الإنشائية ، فغرض إثارة الصّاحبة وتنبهها إلى فعالها ، ولفتها إلى وصله ، وفي الكناية عن نفسه بـ (مُصَابِ الْقَلْبِ) من تَبْدِي أسي الشّاعر واستعطاف الصّاحبة والتأثير عليها ما لا يخفى .

والمُتأمل لجملة الاعتراض : (أنت قتلته) يبين لمراى عينيه مدى تلاحمها بين الجملتين اللتين وقعت بينهما إصابة القلب الناتجة عن عشق الصّاحبة أو هجرها تكون سبباً رئيساً في قتله ، فبين الجملتين ما بين السبب والمُسبب ، كما أنّ الهيام والغرام يتولّد عن قتل القلب بإصابة العشق .

وفي حُضُورِ (القلب) مرتين ، وعود الضمير إلى ذاته مرتين أيضا في البيت: فُرْدِي مُصَابِ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتَلْتِهِ .: وَلَا تتركِيهِ هَائِمِ الْقَلْبِ مُغْرَمًا ما يُنبئ عن شدة أثر لوعة القلب وحسرتة على نفس الشاعر ، ومن الحسّن في البيت بثّ الشاعر لأحاسيسه الجياشة وعواطفه الملتهبة في ثنايا التضرّع والاستعطاف والشكوى .

من الحسن هنا تماسك أسلوب الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أَنْتِ قَتَلْتِهِ) حتّى إنّهُ ليخيل إليك أنّه ليس مستقلا عن جملة الأمر : (فُرْدِي مُصَابِ

الْقَلْبِ) وقد أَعَانَ عَلَى التَّمَسُّكِ اشْتِمَالُ جُمْلَةِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى هَاءِ الْغَائِبِ الَّتِي تَحَقِّقُ التَّمَسُّكَ بَيْنَ عُنَاوَرِ الْبِنَاءِ الْمُتَجَاوِرَةِ .
إِنَّ سَقُوطَ الْإِعْتِرَاضِ مِنْ بِنِيَّةِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ يَعْنِي فُقْدَانِ بَعْضِ مَقَاوِدِ الشَّعْرِ وَأَعْرَاضِهِ ، وَيَعْنِي أَيْضًا غِيَابَ الْكَثِيرِ مِنْ أَنْفِعَالَاتِ الشَّاعِرِ وَمَشَاعِرِهِ وَأَحَاسِيْسِهِ ، وَتَبْدُو الصُّورَةَ عِنْدَ سَقُوطِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ بَاهْتَةً ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ يُحْمَلُ اسْلُوبَ الْإِعْتِرَاضِ بِمَعَانٍ رَئِيسَةً مَقْصُودَةً لِدَاتِهَا ، وَيَبْدُو الْمَعْنَى مِنْ دُونِهَا نَاقِصًا وَمِنْ ثَمَّ فَالْإِعْتِرَاضُ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ النَّظْمِ ، وَمَتَطَلَبُ مِنْ مَتَطَلَبَاتِ التَّرَاكِيْبِ ، الْفَصِيْحَةِ ، وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ .

المبحث الثاني

بلاغة الامتداد بالاعتراض في سياق المدح والاستعطف

من أبرز الأغراض الشعريّة التي كان لها نصيب وافر في شعر إبراهيم بن المهديّ المدح والاستعطف ، وهو عَرَضُ شِعْرِيٍّ فُرِضَ عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاةِ (الرِّضَا) ، وزوال ما كان يحول بين العباسيين والمأمون ، الذي ما إن بدأ مسيره إلى بغداد ، حتّى بدأ جند إبراهيم ورجاله في الانفضاض من حوله ، وهو ما أجبر إبراهيم على الهروب تحت جناح الظلام ، أوّل أيام عيد الأضحى ، لسنة ثلاث ومائتين هجرياً (١) ولقد أجاد إبراهيم بن المهدي الاعتذار للمأمون شعراً ونثراً ، ويبدو أنّ هذه الاعتذاريات مع ما صادفها من مشورة بعض المُقَرَّبِينَ مِنَ الْمَأْمُونِ ، وتخويفهم إياه من سوء الأحداث ، علاوة على محبة المأمون للاشتهار بالعفو قد دفعته إلى أن يتخذ قراراً صعباً بالعفو عن إبراهيم رغم تحريض بعض بني العباس على قتله . (٢) هذا ، ويمكن القول : إنّ جملة الاعتراض في هذا المبحث تنوعت بين القصر والتوسُّط ؛ إذ إنّها وردت إمّا في كلمتين أو ثلاثة أو أربعة ، ولا شك أنّ بناء الجُمْلِ طَوَّلاً وَقَصِراً يَأْتِي اسْتِجَابَةً لَخُلُجَاتِ نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِنْفِعَالَاتِهِ الَّتِي تَبْغِي التَّفْصِيلَ وَزِيَادَةَ الْإِيضَاحِ ، وإطالة الكلام لفائدة تُرْجَى ، وهدف يؤمّ ، فالكلام ما هو إلا " انعكاس لخُلُجَاتِ النَفْسِ ، ونتائج الفكر ، وهجس الضمير ، وسرح الخيال ولا بدّ للنّاظِمِ الْبَارِعِ أَنْ يَحْمِلَ مِنْ خِصَائِصِ التَّعْبِيرِ مَا تَمَيِّزُ هَذِهِ الْإِنْعِكَاسَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ " (٣)

(١) ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٤ .

(٣) نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم - د / أحمد سيد محمد عمار

ص ١٦٩ . ط : دار الفكر العربي . بيروت . لبنان . ٢٠٠٠ م .

هذا ، والشعر خلق فني ، أساسه القدرة المتميزة في التعبير عن خلجات النفس ، ونقل الإحساس بها إلى الآخرين ^(١) ثُمَّ إِنَّ بِنَاءَ الكَلَامِ الَّذِي يَلْقَى التَّأثيرَ فِي نُفُوسِ سامعيه يَجري " على أعمدة هي ، المُتَكَلِّمُ ، والمخاطَبُ ، والخطابُ ، وطريقةُ بِنَاءِ الخطابِ ، وما يُحيطُ بالمتكلم من أحوال ومقامات ، وما يتطلبه القصد من طول أو قصر أو اختزال في الألفاظ واتساع في المعاني وغير ذلك ؛ لأنه لا يصح أن يتفاهم المتكلم مع المُخاطَبَ باللفظة الواحدة ، أو بنمط واحد من التعبير، بل يتفاهمان بالجملة وأختها وما يسندها من حال ومقام وأمور أخرى " ^(٢) وعلى هذا فمسافة الامتداد بالاعتراض هنا تتناغى أيما تناغ مع مقصود الشاعر ومبتغاه .

هذا، وقد كان الامتداد بالاعتراض في سياق المدح والاستعطاف في شعر إبراهيم بن المهدي في عدّة مواضع:

الموضع الأول قوله :

عَفَوْتُ وَكَانَ العَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً .: كَمَا كَانَ مَعْفُودًا بِمَفْرِقِكَ المُلْكُ
فَإِنَّ أَنْتَ أَتَمَمْتَ الرِّضَى فَهُوَ المُنَى .: وَإِنَّ أَنْتَ جَارَيْتَ المُسِيءَ فَذَا الهَلْكَ ^(٣)

(١) ينظر: دراسات في الإبداع الفني في الشعر . رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي . أ د /

جهاد شاهر المجالي ص ٦١ . ط : دروب للنشر والتوزيع . عمان . ط : ثانية . ١٤٣٧ هـ . ٢٠١٦ م

(٢) نظرية نحو الكلام . رؤية عربية أصيلة . للأستاذ الدكتور / كريم حسين ناصح الخالدي ص ١٢٤ . ط

: دار الكتب العلمية . بيروت .

(٣) الفَرْقُ خلاف الجمع ، المَفْرِقُ : وسط الرأس ، وهو الذي يُفَرِّقُ فيه الشعر . ينظر : لسان العرب

لابن منظور . مادة (فرق) .

المُنَى بضم الميم جمع المنية ، وهو ما يَتَمَنَّى الرجل ، والمنوَّةُ الأُمْنِيَّةُ في بعض اللغات . ينظر :

لسان العرب . مادة (منى) .

الهَلْكَ : الهلاك ، قال أبو عبيد : يقال : الهلْكُ والهَلْكَ أو المُلْكُ والمَلْكَ هَلْكَ يَهْلِكُ هَلْكَاً وهَلْكَاً

وهلاكاً مات . ينظر لسان العرب . مادة (هلك) .

الموضع الثاني: قوله عند البيت الخامس عشر من قصيدة له في مدح المأمون، واستعطافه، وطلب عفوهِ:

وَعَطَفْتَ أَصِرَةً عَلَيَّ كَمَا وَعَى .: بَعْدَ انْهِيَاضِ الْوَثَى عَظْمُ الظَّالِعِ (١)
وفيها يستعطف قائلًا عند البيت التاسع عشر :

مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغَوَاةُ تَقُودُنِي .: أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنِيَّةِ طَائِعِ (٢)
الموضع الثالث قول إبراهيم بن المهدي في مقطوعة له جاءت في بيتين اثنين في الاعتذار والتماس العفو :

إِنْ أَكُنْ مُذْنِبًا فَحَظِّي أَخْطَأُ .: تَدْ فَدَعْ عَنْكَ كَثْرَةَ التَّائِبِ
فُلْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِابْنِي يَعْ .: قُوبَ لَمَّا أَتَوْهُ لَا تَثْرِيْبِ (٣)
الموضع الرابع :

وَإِنْ خُصَّ بِيَعُ مَلِكٌ حُرٌّ بِنِعْمَةٍ .: إِذَا قُوبِلَتْ بِالشُّكْرِ قَارِنَهَا الْمَجْدُ (٤)
الموضع الخامس : قوله في مرض ابنه هبة الله ، أو إبراهيم :

هَبْ وَاحِدًا لِوَاحِدِيَا وَاحِدٌ .: فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يُلَاقِي الْوَالِدُ (٥)

فأمَّا قوله في ثنايا مدح المأمون واستعطافه ، إذ أهدى الشاعر إلى المأمون جارية ، معها رقعة ، من بينها قوله :

عَفَوْتَ وَكَانَ الْعَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً .: كَمَا كَانَ مَعْفُودًا بِمَفْرَقِكَ الْمُلْكُ

- (١) البيت من بحر الكامل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٧٥ .
- (٢) البيت من بحر الكامل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٧٦ .
- (٣) البيتان من الخفيف . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٢٢ .
- (٤) البيت من الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٤٠ .
- (٥) البيت من الرجز . شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٣٢ .

فَإِنْ أَنْتَ أَتَمَمْتَ الرَّضَى فَهُوَ الْمُنَى .: وَإِنْ أَنْتَ جَازَيْتَ الْمُسِيءَ قَدْ أَلْهَيْتَ (١)
فقد حَقَّقَ الاعتراض بين رُكْنِي الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ بقوله : (وَكَانَ الْعَفْوُ مِنْكَ
سَجِيَّةً) مُرَادُ الشَّاعِرِ ؛ إِذْ عَجَّلَ بِوَصْفِ الْمَمْدُوحِ مَسْجُلًا عَلَيْهِ أَنَّ الْعَفْوَ الْمُتَّصِفَ
به عَادَةٌ وَطَبِعٌ مَرْكُوزٌ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ وَمَتَمَّكَنٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ عَارِضًا أَوْ مُكْتَسَبًا ،
فَالاعْتِرَاضُ يَضْفِي عَلَى صِفَةِ الْعَفْوِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ ، وَفِي التَّعْجِيلِ بِأَسْلُوبِ
الاعْتِرَاضِ : (وَكَانَ الْعَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً) تَحَرُّزٌ وَاحْتِيَاظٌ ، أَفَادَ أَنَّ عَفْوَ الْمَمْدُوحِ مِنْ
أَجْلِ نَوْعِي الْعَفْوِ ، وَهُوَ الْعَفْوُ الْفَطْرِي ، وَنَفِي عَنْهُ ضِمْنَا أَنْ يَكُونَ عَفْوَهُ مُكْتَسَبًا .
وَلَا يَخْفَى أَنَّ التَّعْجِيلَ بِالْوَصْفِ وَالتَّسْجِيلَ عَلَى السَّمَاعِ مَطْلَبٌ بِلَاغِي مُهِمٌّ ، لِأَنَّ
التَّعْجِيلَ بِالْوَصْفِ يَبْرُزُ فَرَطَ حِرْصِ الْبَلِيغِ وَمَدَى اِهْتِمَامِهِ بِهِ ، حَتَّى يَبْدُو الْوَصْفُ
الَّذِي تَصَوَّرَهُ جُمْلَةً الْاعْتِرَاضِ هُنَا ، وَكَأَنَّهُ دُرَّةُ الْمَعْنَى .

هَذَا ، وَبِالتَّأَمُّلِ فِي بِنْيَةِ الْجُمْلَةِ الْاعْتِرَاضِيَّةِ وَطَرِيقَةِ نَظْمِهَا تَجِدُ الشَّاعِرُ قَدْ
صَدَّرَهَا بِلَفْظِ الْكُونَ الدَّالِّ عَلَى رُسُوحِ صِفَةِ الْعَفْوِ ، وَتَأَصَّلَهَا فِي الْمَمْدُوحِ ، ثُمَّ أَتَى
بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ : (مِنْكَ) وَفِيهِ آثَرُ (مِنْ) الْاِبْتِدَائِيَّةِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْعَفْوَ مَبْدُوءَهُ مِنَ
الْمَمْدُوحِ ، وَهَذَا يَتَنَاقَى مَعَ بَدَلِ الْعَفْوِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ (عَفَوْتُ)
، وَفِي (مِنْ) أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَمْدُوحَ مُسْتَقَرٌّ مِنْ مُسْتَقَرَّاتِ الْعَفْوِ ، وَوَعَاءٌ مِنْ
أَوْعِيَّتِهِ ، وَفِي هَذَا مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى كَمَالِ الصَّفَةِ ، وَتَمَامِهَا فِي الْمَمْدُوحِ ، وَفِي الْعُودِ

(١) الْفَرْقُ خِلَافَ الْجَمْعِ ، الْمَفْرُقُ: وَسَطُ الرَّأْسِ ، وَهُوَ الَّذِي يُفْرَقُ فِيهِ الشَّعْرُ . يَنْظُرُ : لِسَانَ الْعَرَبِ

لَا بِنَ مَنْظُورٍ . مَادَّةُ (فَرْقُ) .

الْمُنَى بضم الميم جمع المنية ، وهو ما يَتَمَنَّى الرَّجُلُ ، وَالْمَنْوَةُ الْأَمْنِيَّةُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ .
يَنْظُرُ : لِسَانَ الْعَرَبِ . مَادَّةُ (مَنَى) .

الْهَلْكَ : الْهَلَاكُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : يُقَالُ : الْهَلْكَ وَالْهَلْكَ أَوْ الْمَلْكَ وَالْمَلْكَ هَلْكَ يَهْلِكُ هَلْكَاً
وَهَلْكَاً وَهَلَاكاً مَاتَ . يَنْظُرُ لِسَانَ الْعَرَبِ . مَادَّةُ (هَلْكَ) .

على الممدوح بالخطاب عن طريق كاف الخطاب (منك) بعد التاء في (عفوت) وتزاحم ألفاظ الخطاب وحشدها في البيتين : (بمفرقك ، فإن أنت ، أتممت ، وإن أنت ، جازيت) محاولة للتأثير على الممدوح المستعطف وكيف لا يتحقق وقد حاصره وضيق عليه ، حتى لكان الشاعر لم يترك أمام المأمون إلا إثارة العفو فحسب ، ثم تراه وضع المسند في قالب التنكير الدال على النوعية التي تشي بالتفرد والتميز ، وأن سجية العفو عنده سجية من نوع خاص بالممدوح .

هذا ، ويحسب هنا للشاعر أيضا حسن سبك أسلوب الاعتراض هنا ، فحين يتأمل الناظر يجده قد ذاب في تلك الصورة التشبيهية ، حتى صار عنصرا من عناصرها ، وفردا رئيسا يتم المعنى ، ولا يستغنى عنه ، كبقية عناصرها .

فالمشبه هنا الهيئة الحاصلة من تمكّن صفة العفو من الممدوح وتواصلها فيه لأنها طبع مركز فيه ، بالهيئة الحاصلة من تمكّن الممدوح بالملك وتواصله فيه ؛ لأنه معقود بمفرقه ، لا ينفك عنه إلى غيره ، والجامع الهيئة الحاصلة لتمكّن الشيء ، وثباته في كلّ .

هذا، والشاعر هنا جعل المدح سبيلا لاستعطاف الشاعر بقوله:

فَإِنْ أَنْتَ أَتَمَّمْتَ الرِّضَى فَهُوَ الْمُنَى .: وَإِنْ أَنْتَ جَازَيْتَ الْمُسِيءَ فَذَا الْهَلْكَ

والشاعر هنا جمع بين المتقابلين على طريقة الجمع بين الضد وما يتسبب عنه : (المنى و الهلك) ؛ إذ إنّ النجاة التي هي مضاد الهلاك يتسبب عنها تحقيق الأمانى ورغبات النفس وحاجاتها ، وذلك لإبراز فرط نفوذ المأمون ، وبالغ سلطانه على الشاعر ، وفي هذا من الاستعطاف ما لا يخفى .

وفي قول إبراهيم بن المهدي من قصيدة له في مدح المأمون، واستعطافه ،

والاعتذار إليه ، وطلب عفوهِ :

فَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا . : وَعَوَيْلَ عَانِسَةِ كَقَوْسِ النَّازِعِ

وَعَطَفْتَ آصِرَةً عَلَى كَمَا وَعَى . : بَعْدَ انْهِيَاضِ الْوَثِيِّ عَظْمُ الظَّالِعِ (١)

تجد الشاعر قد اعترض بقوله : (بَعْدَ انْهِيَاضِ الْوَثِيِّ) بين الفعل وفاعله ، ليُلفت الممدوح ويُنَبِّهه بِطُف إلى عظيم أفضاله عليه ، ويبين له أن تحننه عليه بالعفو عن قتله وإطلاق سراحه سبب رئيس في جبر ضَعْفه ، وفي هذا من المُبالغة في المدح والشكر ما لا يخفى .

فالاعتراض هنا جسد على أحسن حالٍ حال الشاعر قبل العفو ؛ لأن مجيء الأمر المعنوي في صورة الشئء المُجسَّم يجعله أكثر انطباعاً في النَّفس والفؤاد ، والنَّفس إلى قبول المحسوس أميل وأكثر قبولاً .

(١) آصرة : ما عطفك على رجل من رجم أو قرابة أو صهر أو معروف . ينظر : لسان العرب .

مادة (أصر)

وعى : وعى العظم إذا انجبر بعد الكسر . ينظر : لسان العرب . مادة (وعى) .

انهياض : كسر بعد جبر . ينظر : هامش رقم (١٥) في : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٧٥ .

الوثي : الوثيُّ المكسور اليد ، ويقال : أوثى فلان ، إذا انكسر به مركبه من حيوان أو سفينة . ينظر : لسان العرب . مادة (وثي) .

عظم الظالع : ظلَّع الرجلُ والدابئةُ في مَشْيِهِ يَظْلَعُ ظَلْعاً عَرَجَ وغمزَ في مَشْيِهِ . ينظر : اللسان . مادة (ظل ع) .

وَيُرَوَّى الْبَيْتُ بِلَفْظٍ : (بَعْدَ انْهِيَاضِ الْجِسْمِ) ، وَهَذَا فِي ظَنِّيْ اَكْمَلٍ وَأَبْلَغٍ مِنْ قَوْلِهِ : (بَعْدَ انْهِيَاضِ الْوَثِي) حَيْثُ تَرَى الشَّاعِرَ قَدْ جَعَلَ لِلْجِسْمِ كُلِّهِ اَثْرًا فِي تَحْقِيقِ الْبُرْءِ وَانْجِبَارِ الْكَسْرِ .

وَالْبَيْتُ صُورَةٌ تَشْبِيهِيَّةٌ يُشَبِّهُ فِيهَا الشَّاعِرُ : الْهَيْئَةَ الْحَاصِلَةَ لِابَالِغِ عَطْفِ الْمَمْدُوحِ وَفَرَطِ تَحَنُّنِهِ عَلَى الشَّاعِرِ بِالْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ لِالْتِنَامِ الْعَظْمِ الْمَكْسُورِ بَعْدَ تَحَقُّقِ اِرَادَةِ الْوَثِي فِي الْبُرْءِ وَالشِّفَاءِ ، فَكَمَا أَنَّ انْهِيَاضَ الْوَثِي سَبَبٌ رَئِيسٌ لِالْتِنَامِ الْعَظَامِ الْمَكْسُورَةِ ، فَإِنَّ تَحَنُّنَ الْمَمْدُوحِ وَعَطْفَهُ سَبَبٌ رَئِيسٌ لْجَبْرِ حَالِ الشَّاعِرِ ، تَرَاهُ يَقُولُ قَبْلَ مَوْضِعِ الشَّاهِدِ :

فَرِحْمَتٍ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا . : وَعَوِيْلَ عَانِسَةٍ كَقَوْسِ النَّازِعِ
تَدْرِكُ حَالَ أَهْلِ الشَّاعِرِ مِنَ الْحُزْنِ وَالْعَوَزِ وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، فَأَطْفَالُهُ صِغَارُ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا فِي الضَّعْفِ وَالْعَوَزِ وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ ، وَأُمُّهُ وَحِيدَةٌ ، حَزِينَةٌ ، بَاكِيَةٌ ، فِي كِتَابِ الْأَسْرَارِ ، وَكِتَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ ، يُرَوَّى الْبَيْتُ : " وَحَنِينَ وَالْهَيْئَةَ كَقَوْسِ النَّازِعِ " (١) ،

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني . قراءة وتعليق الشيخ محمود محمد شاكر ص

٢٩١ . ط : مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة .

والفرج بعد الشدة ٣ / ٣٤٤ . يريد أن الوالهة وهي أمه عجوز محدودة الظهر . ينظر

هامش رقم : (١٢) في كتاب : الفرغ بعد الشدة ٣ / ٣٤٤ .

وفي كتاب المُسْتَجَاد ، والفَرَجَ أيضًا : " وحنين والدة بقلب جازع " (١) ، فروايات البيت تتكامل فيما بينها في تصوير بالغ حُزن الأمّ على فراق ولدها إبراهيم بن المهدي .

أمّا رواية شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره خاصّة، ففيها يشبّه شدة عويل تلك الأمّ على الشّاعر بقوس النَّازِع في شدة الجذب، فالجامع إذا الشّدّة في كُلّ ، والغرض . كما ترى . بيان الحال ، يقول الفراء . رحّمه الله . عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝ تَتَزَعُّ الْأَنْفُسُ مِنْ صُدُورِ الْكُفَّارِ كَمَا يُغْرِقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ إِذَا جَذَبَ الْوَتَرَ ۝ ﴾ (٢)

ويُمكن أن يكون الغرض من التشبيه هنا : (وَعَوِيلَ عَانِسَةَ كَقَوْسِ النَّازِعِ) بيان حال الأمّ ، وأنها بلغت من العجز وتقدّم السنّ مبلغًا بعيدا ، فيكون الجامع بين الأمّ وقوس النَّازِع فرط الانحناء في كلّ ، وفي هذا من الاستعطاف ما فيه ، فـ " هذا البيت من التشبيهات النادرة ، وذلك أنه شبّه والدته الوالهة في انحنائها ورنينها بقوس النَّازِع " (٣)

وفي قوله في مقام الاعتذار والاستعطاف عند البيت التّاسع عشر من القصيدة ذاتها :

(١) ينظر : المُسْتَجَاد مِنْ فَعَلَاتِ الْأَجْوَادِ لِأَبِي عَلِي الْمَحْسَنِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوحِيِّ . تح : أحمد فريد المزيدي ص ٥٠ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م . وينظر : الفرج بعد الشدة ٣ / ٣٣٧ . نسخة مخطوطة الأسكوريال بمدريد .

(٢) ينظر : لسان العرب . مادة (نزع) .

(٣) لُبَابُ الْأَدَابِ لِأَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ النَّعَالِبِيِّ . تح : أحمد حسن بسج ص ١٨٩ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٩٩٧ م .

مَا اِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغَوَاةُ تَقُوْدُنِي .: اَسْبَابُهَا اِلَّا بِنِيَّةِ طَائِعِ (١)
يُوضِحُ الشَّاعِرُ اَنَّ الْعِصْيَانَ وَقَعَ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ يَبْتَغِي الطَّاعَةَ، وَقَدْ كَانَ سَبْكُ
هَذَا الْمَعْنَى فِي قَالِبِ الْقَصْرِ : (مَا اِنْ عَصَيْتُكَ... اِلَّا بِنِيَّةِ طَائِعِ) اَمْرًا حَمِيدًا
لِلشَّاعِرِ ، حَيْثُ وَظَّفَهُ . كَمَا هُوَ بَيِّنٌ . لِانْتِفَاءِ جَمِيعِ اَسْبَابِ الْعِصْيَانِ الَّتِي قَدْ يَتَوَقَّعُهَا
مَتَوَقَّعٌ ، وَاثْبَاتِ اَنَّ نِيَّةَ الطَّاعَةَ وَحْدَهَا كَانَتْ مَقْصُودَةً ، وَفِي هَذَا مِنْ حُسْنِ الْاِعْتِدَارِ
وَاسْتِعْطَافِ الْمُخَاطَبِ مَا فِيهِ .

هَذَا ، وَالْمُتَأَمِّلُ لِأَسْلُوبِ الْاِعْتِرَاضِ فِي قَوْلِهِ : (وَالْغَوَاةُ تُمَدُّنِي اَسْبَابُهَا) الَّذِي
اعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَ بِنِيَّةِ اَسْلُوبِ الْقَصْرِ (مَا اِنْ عَصَيْتُكَ ... اِلَّا بِنِيَّةِ طَائِعِ) يَدْرِكُ اَنَّهُ

(١) مِنْ قَصِيدَةِ قَالِهَا اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ يَعْتَذِرُ اِلَى الْمَأْمُونِ فِي عَقْدِ الْبَيْعَةِ فِي غَيْبَتِهِ وَاَدْعَائِهِ
الْخَلِيفَةَ لِنَفْسِهِ . يَنْظُرُ : الزَّهْرَةُ لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدِ الْأَصْبَهَانِيِّ . تَحْقِيقٌ : د / اِبْرَاهِيمَ
السَّامُرَائِيِّ ٢ / ٥٦٥ . ط : مَكْتَبَةُ الْمَنَارِ . الْأُرْدُن . ط : ثَانِيَةً . ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٥ م .
رَوَى عَنِ الْجَا حَظِّ قَالَ : أَرْسَلَ اِلَى ثَمَامَةَ يَوْمَ جَلَسَ الْمَأْمُونُ لِاِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَمَرَ
بِاحْتِضَارِ النَّاسِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، فَحَضَرُوا ، فَجِءَ بِاِبْرَاهِيمَ فِي قَيْدٍ فَسَلِمَ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا
سَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ ، وَلَا حَفِظْتُكَ فَقَالَ لَهُ اِبْرَاهِيمُ ؛ عَلَى رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَلَقَدْ أَصْبَحَتْ
وَلِيَّ تَأْرِي ، وَالْقُدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِيزَةَ ، وَمَنْ مَدَّ لَهُ الْاِعْتِرَاضَ فِي الْأَمَلِ ، هَجَمَتْ بِهِ الْأَنَاءَةُ عَلَى
النَّتْفِ ، وَقَدْ أَصْبَحَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ ، وَعَفْوُكَ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ ، فَإِنْ تَعَاقَبَ فَبِحَقِّكَ ، وَإِنْ
تَغَفَّرَ فَبِفَضْلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : اِنَّ هَذِينَ أَشَارًا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ وَأَوْمَأَ اِلَى الْمُعْتَصِمِ وَاِلَى ابْنِهِ
الْعَبَّاسِ فَقَالَ قَدْ أَشَارَا بِمَا يَشَارُ بِمَثَلِهِ فِي مِثْلِي ، وَمَا غَشَاكَ فِي عَظَمِ الْخَلِيفَةِ وَلَكِنْ اللهُ
دَعَاكَ مِنَ الْعَفْوِ عَادَةً ، فَأَنْتَ تَجْرِي عَلَيْهَا دَافِعًا مَا تَخَافُ بِمَا تَرْجُو ، فَقَالَ : أَطْلُقُوا عَمِي ،
فَقَدْ عَفَوْتَ عَنْهُ ، فَقَالَ بَعْقَبُ هَذَا الْقَصِيدَةَ . أَشْعَارُ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ وَأَخْبَارِهِمْ مِنْ كِتَابِ الْأَوْرَاقِ
لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الصَّوْلِيِّ لِنَاشِرِهِ ج . هَيْوَرْت . د ن . الْمَدْرَسُ بِمَعْمَدِ الدَّرَاسَاتِ
الْشَرْقِيَّةِ بَلَدْنِ ص ١٨ . ط : مَطْبَعَةُ الصَّوَايِ . مِصْر . ط : أَوْلَى . ١٩٣٦ م .

قد حقق الهدف المرام وأصاب كبده ، حتَّى إنَّكَ لتجد أن جملة الاعتراض هي عماد البيت ، فالناظر يدرك أنَّ أسلوب الاعتراض قد لفت المخاطب . وهو المأمون . ونبَّهه إلى أنَّ الغواة كانت سبب ما جرى ، ومن ثمَّ فهو بريء ، لا يستحقُّ مؤاخذه . تأمل معي بنية أسلوب الاعتراض تجده يبوِّح لك بما حوته نفس الشاعر من خوف وأسى وندم ، ومن ذلك تقديم المُسند إليه (الغواة) وما يُفیده التقديم من تصوير العناية والاهتمام ، حيثُ يجسِّد التقديم مدى هرع الشاعر إلى تبرئة نفسه وإسناد تلك المؤاخذه إلى الغواة ، كذلك إيثار الفعل المضارع : (تقود) في قوله (تقودني أسبابها) وما توحيه دلالة الفعل من فرط التَّسخير ، والتَّبعية ، وانعدام الإرادة ، فـ " القَوْدُ نقيض السَّوْق .. فالقَوْدُ من أمام ، والسَّوْقُ من خَلْف .. " (١)

ويروي البيت في بعض كتب الأدب (٢) : (والغواة تُمدُّني أسبابها) فنشئ دلالة الفعل بقرط الإعانة ، وتقوية الجانب ، فحقيقة المادة : " الزيادة المتصلة .. والمدَّ أن يمدَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في غيِّه ، ويُقال : وادي كذا يمدُّ في نهر كذا ، أي : يزيد فيه " (٣) والتعبير بالفعل : (تقودني) أحسن عندي ، وأبلغ ، وأوقع ، بمقام الاعتذار والاستعطاف من التعبير بالفعل (تمدني) ؛ إذ إنَّ التعبير بالقود

(١) لسان العرب . مادة (قود) .

(٢) ينظر : الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني ٢ / ٥٦٦ . وينظر : أشعار أولاد الخلفاء ص ١٩ .

(٣) لسان العرب . مادة (م د د) .

ينفي عن الشّاعر أدنى درجات القُدرة والإرادة ، فهو إذا أدلّ على نفي المؤاخذة .

فتعدية الفعل بنفسه في الروايتين : (تُمْدُني) و(تُقُوْدي) فيها دلالة على تحقّق المدّ والقود ، حيث صار هو مفعولاً به ، وفي هذا . كما أشرنا . من نفي المؤاخذة ، والاستعطاف ، ما فيه ، فيتجلّى للناظر حُسن تعدية الفعل بنفسه هنا في تجسيد قُرب المدّ والقود منه ، أمّا في رواية : (والغواة تمدّي أسبابها) فقد ابتعد المدّ شيئاً .

ففي كتاب الفرج بعد الشدّة ^(١) يروى البيت : (والغواة تمدّي أسبابها) بتعدية الفعل باللام للإشارة إلى أنّ الغواة كانت تتقرب له ، وتحاول وُدّه وإرضاءه وهذا يعني أنّه وقع فريسة في شباكها من دون قصد ، وهذا في ظنيّ أدلّ على الاعتذار وأوقع ، من بلوغ الفعل للمفعول بنفسه في الرّواية المشهورة : (والغواة تُمدّني أسبابها) ، حيث أبرز أنّه مغرر به من حيث لا يدري ، مع ما في التعبير بالفعل المضارع من تجدد الإمداد بالغواية ما لا يخفى ، وفي التعبير بالجمع ما يُنبئ عن كثرة تلك الأسباب وتعدّدها .

وفي قول إبراهيم بن المهدي ، حين دخل على المأمون ، في مقطوعة له ، جاءت في بيتين اثنين ، وفيها يعتذر ويلتمس العفو .

إِنْ أَكُنْ مُذْنِبًا فَحَظِّيْ أَخْطَأُ . : ثُ فَدَعْ عَنْكَ كَثْرَةَ التَّائِبِ

(١) ينظر : الفرج بعد الشدّة للقاضي أبي علي المحسن بن علي التتويحي . تح : عبود الشالحي

٣/٣٤٤ . ط : دار صادر . بيروت . ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م . وينظر كذلك : نوارد القليوبي

لأحمد شهاب الدين بن سلامة القليوبي . ضبطه واعتنى به الشيخ : عبد الوارث محمد علي

ص ١٠٢ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت .

قُلْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِبَنِي يَعْقُوبَ .: قُوبَ - لَمَّا أَتَوْهُ - لَا تَتْرِب (١)
تجد أنَّ أسلوب الاعتراض عند قوله : (لَمَّا أَتَوْهُ) ، قد وقع بين فعل القول ومقوله :
(قُلْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِبَنِي يَعْقُوبَ .. لَا تَتْرِب) قد أفاد تقييد النطق بالعمو
وتخصيصه بوقت الإتيان خاصة ، ليبرز أنَّ كمال الاعتذار يتحقق بالإتيان ، وأنَّ
إتيانه يُجسِّد بالغ ندمه ، وفَرَطَ اعتذاره ، وحُسْنُ التماسه الصَّفح والعمو والغفران ،
وفي لفظ الاعتراض تلاقٍ مع حال دُخول الشَّاعر كما هو بيِّن .

هذا ، ومقتضى الظَّاهر هنا أن يُعجِّل الشَّاعر بمَقُول القول : (لَا تَتْرِب) لأنَّه
بيت القصيد ، لكن التعجيل به يُفَوِّت على الشَّاعر كثيرا من المقاصد كما ترى ، كما
أنَّ تأخير مقول القول والتعجيل بما سِواه يجعله يدخل على النَّفس دخول المأنوس
المنتظر ، فالبيت يُترجم عقل الشَّاعر ، وحُسْنُ ضبطه لمعانيه ، فلا تمرَّ المعاني
حتَّى يتلقَّها العقل أولا ، ويكون سُلطانا عليها ، وهو ما وسَّمه به ابن جنِّي بقوله :
(.. ودالَّ على فصاحة المُتكلِّم ، وقوَّة نَفْسِه) وفسَّره الشَّيخ أبو موسى بقوله :
" .. وأفهم من قوَّة النَّفس سيطرة العقل اليقظ الحيِّ على هذه الغزارة ، وحُسْنُ
تصريفها ، وإصابة مواقعها ، ولا يُوصَف المُتكلِّم المُبين بأجلِّ من غزارة المعاني التي
عليها من العقل سُلطان " (٢)

ففي قول الشَّيخ . نفع الله بعلمه ، وأجزل له المثوبة . : (ولا يُوصَف المُتكلِّم
المُبين بأجلِّ من غزارة المعاني التي عليها من العقل سُلطان) تُدرك شرف البيان
الموسوم بغزارة المعاني التي قام العقل اليقظ النَّابِه عليها حقَّ قيام ، وتدرك كذلك

(١) البيتان من الخفيف . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٢٢ .

(٢) مراجعات في أصول الدرس البلاغي ص ١٢٧ .

فَضْلَ وَضَعِ الْمَعَانِي تَحْتَ إِمْرَةِ الْعَقْلِ وَسُلْطَانِهِ ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَعَانِي تُوصَفُ بِالْحُسْنِ بِقَدْرِ هَيْمَةِ الْعَقْلِ وَمَدَى تَمَكُّنِهِ مِنْهَا .

يَرْحَمُ اللَّهُ الْإِمَامَ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْقَائِلَ : " وَاعْلَمْ أَنَّ غَرَضِي فِي هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ابْتَدَأْتَهُ ، وَالْأَسَاسَ الَّذِي وَضَعْتَهُ ، أَنْ أَتَوَصَّلَ إِلَى بَيَانِ أَمْرِ الْمَعَانِي كَيْفَ تَخْتَلِفُ وَتَتَفَقُّ ، وَمِنْ أَيْنَ تَجْتَمِعُ وَتَفْتَرِقُ ، وَأَفْصَلَ أَجْنَاسَهَا وَأَنْوَاعَهَا ، وَأَتَبَعَ خَاصَّهَا وَمُشَاعَهَا ، وَأَبَيَّنَ أَحْوَالَهَا فِي كَرَمِ مَنْصِبِهَا مِنَ الْعَقْلِ ، وَتَمَكُّنِهَا فِي نِصَابِهِ ، وَفُزْبِ رَحْمِهَا مِنْهُ ، أَوْ بَعْدَهَا حِينَ تُسَبِّحُ عَنْهُ ، وَكَوْنِهَا كَالْحَلِيفِ الْجَارِيِ مَجْرَى النَّسَبِ ، أَوْ الرَّزِيمِ الْمَلْصَقِ بِالْقَوْمِ ، لَا يَقْبَلُونَهُ ، وَلَا يَمْتَعْضُونَ لَهُ ، وَلَا يَذُبُّونَ دُونَهُ " (١)

فَامْتِدَادِ الْمَعَانِي وَتَزَاحِمِهَا وَتِدَافِعِهَا - وَهُوَ خُصُوصِيَّةٌ شِعْرِيَّةٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ . هُوَ الْأَنْسَبُ بِسِيَاقِ الْإِعْتِذَارِ وَالِاسْتِعْطَافِ .

هَذَا ، وَأُسْلُوبُ الْإِعْتِرَاضِ فِي الْبَيْتِ قَدْ شَكَّلَ بَنِيَّةَ رِئِيسَةٍ فِي بِنَاءِ التَّشْبِيهِ ، حَيْثُ إِنَّ الشَّاعِرَ يَطْلُبُ مِنْ مَخَاطَبِهِ أَنْ تَكُونَ هَيْئَةً قَوْلُهُ الَّتِي أُلْقَتْ مِنْهُ ، كَالْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ لِقَوْلِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِخْوَتِهِ حِينَ أَتَوْهُ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْعَفْوَ وَالْغَفْرَانَ ، وَالْجَامِعَ الْهَيْئَةَ الْحَاصِلَةَ لِلْقَوْلِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْغَفْرَانَ فِي كُلِّ .

وَقَدْ عَبَّرَ الشَّاعِرُ عَنْ إِخْوَةِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَطَابِ الْبُعْدِ لَا التَّقْرِيبِ ، وَذَلِكَ بِنَسْبَتِهِمْ إِلَى آبِيهِمْ : (بَنِي يَعْقُوبَ) ، حَتَّى لَا يَقَعَ فِي ظَنِّ الْمَخَاطَبِ ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ ، أَنَّ الْعَفْوَ حَصَلَ بِسَبَبِ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قَرَابَةٍ شَدِيدَةٍ ، أَوْ لِإِبْرَازِ أَنَّ الْعَفْوَ حَصَلَ مَعَ مَا كَانَ فِي نَفْسِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ الْعَفْوِ مِنَ الْأَلَمِ وَالضِّيقِ تَجَاهَهُمْ .

ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ : (فَدَعُ عَنْكَ كَثْرَةَ التَّأْنِيبِ) جَاءَ عَلَى صُورَةِ الْأَمْرِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ الضَّرَاعَةُ وَالِدُّعَاءُ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسْلُوبِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ : (قُلْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ .. الْبَيْتِ) تَرْقٍ وَاضِحٍ ؛ وَتَدْرُجٌ مَلْحُوظٌ ، حَيْثُ بَدَأَ بِطَلْبِ تَرْكِ التَّأْنِيبِ ، ثُمَّ ثَنَّى بِطَلْبِ قَوْلِ (لَا تَثْرِيبَ) الْجَامِعِ لِتَرْكِ التَّأْنِيبِ ، وَغَيْرِهِ .

وقوله : (لَا تَثْرِيبَ) اِقْتِبَاسٌ حَسَنٌ جَدَا ؛ إِذِ اللَّفْظَةُ جَامِعَةٌ ، مِنْ شَأْنِهَا نَفِي كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ التَّنْغِيسُ عَلَى الْمَعْفُو عَنْهُ ، كَاللُّومِ ، وَالتَّأْنِيبِ ، وَالتَّذْكِيرِ بِالْفِعَالِ الْقَبِيحَةِ ، وَالْمَعَاقِبَةِ عَلَيْهَا ، وَغَيْرِهَا ، " وَأَصْلُهُ مِنَ الثَّرْبِ ، وَهُوَ الشَّحْمُ الرَّقِيقُ فِي الْجَوْفِ وَعَلَى الْكَرْشِ ، وَصِيغَةُ التَّفْعِيلِ لِلْسَّلْبِ ، أَيْ : إِزَالَةُ الثَّرْبِ كَالْتَجْلِيدِ وَالتَّقْرِيعِ ، بِمَعْنَى إِزَالَةِ الْجِلْدِ وَالْقَرَعِ ، وَاسْتَعِيرَ لِلْوَمِ الَّذِي يَمَزَّقُ الْأَعْرَاضَ وَيَذْهَبُ بِهَاءِ الْوَجْهِ ؛ لِأَنَّهُ بِإِزَالَةِ الشَّحْمِ يَبْدُو الْهَزَالُ ، وَمَا لَا يَرْضَى ، كَمَا أَنَّه بِاللُّومِ تَظْهَرُ الْعُيُوبُ ، فَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا طَرِيانُ النَّقْصِ بَعْدَ الْكَمَالِ ، وَإِزَالَةُ مَا بِهِ الْكَمَالُ وَالْجَمَالُ " (١)

فَأَسْلُوبُ الْاِعْتِرَاضِ . كَمَا رَأَيْتَ . وَقَعَ قَبْلَ مَقُولِ الْقَوْلِ لِتَحْقِيقِ مُرَادِ الشَّاعِرِ فِي تَقْيِيدِ الْقَوْلِ وَتَخْصِيسِهِ ، وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ تَقْرِيرِ التَّضَرُّعِ وَالِاسْتِعْطَافِ مَا لَا يَخْفَى .

وَفِي قَوْلِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ مُسْتَجْدِيًا ، وَقَدْ جَاءَ خَاتِمَةٌ لِمَقْطُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ عَدَّتْهَا ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ :

(١) رُوحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي لِلْأَلُوسِيِّ ١٣ / ٥٠ . ط : دَارُ اِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ . بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ .

وَإِنْ خُصَّ بِيَعُ مِلْكُ حُرٍّ بِنِعْمَةٍ .: - إِذَا قُوِبِلَتْ بِالشُّكْرِ - قَارَنَهَا الْمَجْدُ (١)
وقع الاعتراض بقوله : (إِذَا قُوِبِلَتْ بِالشُّكْرِ) بين فعل الشَّرْطِ وَجَزَائِهِ : (وَإِنْ
خُصَّ بِيَعُ مِلْكُ حُرٍّ بِنِعْمَةٍ... قَارَنَهَا الْمَجْدُ) لتقييد مقارنة الْمَجْدِ والشرف للإنعام على
الْحُرِّ بِمُقَابَلَةِ الشُّكْرِ .

فقوله معترضاً : (إِذَا قُوِبِلَتْ بِالشُّكْرِ) وقع خير موقع في إفادة التَّقْيِيدِ مِنْ وَجْهِه
وتقرير حقيقة شُكْرِ الْمُنْعَمِ مِنْ وَجْهِه آخِر ، وفيه أيضاً تعظيم لِفَضْلِ الشُّكْرِ الْحَاصِلِ
مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ ؛ إذ عُلِقَ مُقَارَنَةُ الْمَجْدِ لِلْإِنْعَامِ بِحُصُولِهِ ، كما هو باد .
يبين للناظر هنا فضل الْجُمْلَةِ الْاِعْتِرَاضِيَةِ فِي إِبْرَازِ مَدَى فَضْلِ الشُّكْرِ ، حَتَّى إِنَّهُ
ليُخِيلُ لَكَ أَنَّ الشُّكْرَ الْحَاصِلَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ لَا يَقِلُّ عَنِ إِنْعَامِ الْمُنْعَمِ بِحَالٍ مِنَ
الْأَحْوَالِ .

(١) ذَكَرَ اِبْرَاهِيمَ الْبِيهَقِي فِي الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ قَالَ : قَالَ الْمَأْمُونُ
لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ الْمَوَانِسَةِ وَإِخْرَاجِ مَا كَانَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِ : يَا عَمَّ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى
مِنَازَعَةِ مَنْ جَرَى قَدْرَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ بِتَمَامِ أَمْرِهِ وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ ؟ قَالَ : طَلَبَ صِلَاحَ حَالِي
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَوَفَّرَ مَا تَتَسَعُّ بِهِ يَدِي عَلَى خَاصَّتِي وَعَامَّتِي ، قَالَ : فَقَدَّرَ مَا شِئْتَ وَهُوَ
لَكَ مَشَاهِرَةٌ ، قَالَ : إِذَا تَجَدَّنِي بِحَيْثُ نَحَبُ ، وَيَجْرِي حَكْمُكَ عَلَيَّ ، وَفِيَّ ، كَمَا يَجْرِي فِي أَحَدٍ
عَبِيدِكَ ، وَقَدْ قَلْتُ فِي ذَلِكَ :

أَرَى الْحُرَّ عَبْدًا لِلَّذِي سَيَبُ كَفَّهِ .: شَرَاهُ بِمَا قَدْ غَاظَهُ غَايَةَ الْحَمْدِ
عَلَى أَنْ مِلْكُ الْحُرِّ أَسْنَى ذَرِيعَةً .: إِلَى الْمَجْدِ مِنْ مَالٍ يُصَانُ وَمِنْ عَبْدٍ
وَإِنْ خُصَّ بِيَعُ مِلْكُ حُرٍّ بِنِعْمَةٍ .: إِذَا قُوِبِلَتْ بِالشُّكْرِ قَارَنَهَا الْمَجْدُ

ينظر : المحاسن والمسايي لإبراهيم بن محمد البيهقي . صححه / محمد بدر الدين النعساني
الخطبي ٢ / ١٠٢ ، ١٠٣ . ط : مطبعة السعادة على نفقة / محمد كامل أفندي النعساني .

ولا يَخْفَى أَنَّ جُمْلَةَ الاعْتِرَاضِ: (إِذَا قُوْبِلَتْ بِالشُّكْرِ) مُتَنَاسِلَةٌ عَنِ الْحَدِيثِ عَنِ النِّعْمَةِ كَمَا تَرَى؛ لِأَنَّ مُقَابَلَةَ النِّعْمَةِ بِالشُّكْرِ أَمْرٌ لَازِمٌ، لَا يَتَفَكَّرُ عَنْهَا، إِلَّا حِينَ تَكُونُ النِّعْمَةُ لِمَنْ لَا يَسْتَحَقُّهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَالاعْتِرَاضُ لَيْسَ غَرِيبًا عَنِ سَابِقِهِ، بَلْ مُتَوَلِّدًا عَنْهُ. هَذَا ، وَقَدْ بُنِيَتِ الْجُمْلَةُ الْاِعْتِرَاضِيَّةُ : (إِذَا قُوْبِلَتْ بِالشُّكْرِ) فِي قَالِبِ الشَّرْطِ الْمُصَدَّرِ بِحَرْفِ الشَّرْطِ (إِذَا) الدَّالِّ عَلَى الْقَطْعِ ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى انْتِفَاءِ مَقَارِنَةِ الْمَجْدِ لِلْإِنْعَامِ إِلَّا بِتَحَقُّقِ حُصُولِ الشُّكْرِ كَمَا يَنْبَغِي ، وَفِيهِ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى تَحْقِيقِ الشُّكْرِ مِنَ الشَّاعِرِ عَقِبَ حُصُولِ النِّعْمَةِ مَا فِيهِ ، كَمَا أَنَّ فِي بِنَاءِ الْفِعْلِ الْمَاضِي : (إِذَا قُوْبِلَتْ) لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ إِشَارَةٌ إِلَى عِظَمَةِ الْمُقَابَلَةِ بِالشُّكْرِ ، وَإِيحَاءٍ بِأَنَّ الشُّكْرَ حَاصِلٌ لَا مُحَالَةٌ .

وقد يكون غرض بناء الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله إشارة إلى تعدد القائمين بشكر المأمون خاصة؛ إذ إنَّ الإِنْعَامَ عَلَى ابْنِ الْمَهْدِيِّ يَتَّبِعُهُ شُكْرُ الْأَهْلِ طَرًا. هذا ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ :

أَرَى الْحُرَّ عَبْدًا لِلَّذِي سَيِّبُ كَفَّهُ . . . شَرَاهُ بِمَا قَدْ غَاطَّهُ غَايَةَ الْحَمْدِ
عَلَى أَنَّ مَلِكَ الْحُرِّ أَسْنَى ذَرِيعَةً . . . إِلَى الْمَجْدِ مِنْ مَالٍ يُصَانُ وَمِنْ عَبْدٍ
وَإِنْ خُصَّ بِيَعُ مَلِكُ حُرٍّ بِنِعْمَةٍ . . . إِذَا قُوْبِلَتْ بِالشُّكْرِ قَارَنَهَا الْمَجْدُ

مِنْ مُبَالَغَةٍ فِي اسْتِجْدَاءِ الْمَأْمُونِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ ، فِي قَوْلِهِ : (أَرَى الْحُرَّ عَبْدًا لِلَّذِي سَيِّبُ كَفَّهُ شَرَاهُ ..) تَرَى أَنَّهُ قَدْ صَيَّرَ مِنَ الْحُرِّ عَبْدًا لِذَلِكَ الْمَنْعِمِ ، وَرَاحَ يُؤَكِّدُ ثَانِيَةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى جَاعِلًا مِنْ بَدْلِ الْعَطَاءِ سَبِيلًا لِمَجْدِ الْمَأْمُونِ وَشَرْفِهِ ، بَلْ جَعَلَ الْعَطَاءَ . وَسَمَّاهُ مَلِكًا . مِنْ أَرْفَعِ الذَّرَائِعِ وَالْوَسَائِلِ إِلَى الْمَجْدِ ؛ إِذْ فَضَّلَهُ عَلَى صَوْنِ الْمَالِ وَمَلِكِ الْعَبْدِ ، إِغْرَاءً لَهُ وَاسْتِمَالَةً وَاسْتِعْطَافًا ، فِي قَوْلِهِ عِنْدَ الْبَيْتِ الثَّانِي : (عَلَى أَنَّ مَلِكَ الْحُرِّ أَسْنَى ذَرِيعَةً إِلَى الْمَجْدِ ..) ، ثُمَّ رَاحَ يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَرَّةً ثَالِثَةً فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ مَوْضِعَ الشَّاهِدِ عِنْدَ قَوْلِهِ : (وَإِنْ خُصَّ بِيَعُ مَلِكُ حُرٍّ بِنِعْمَةٍ .. قَارَنَهَا

المَجْدُ) جاعلا من شراء الأحرار بسبب الإنعام مقارنة للمجد ، ولعل ذلك من باب الترقى في تبيان فضل البذل والعطاء .

وأما قول إبراهيم بن المهدي في مرض ابنه هبة الله ، أو إبراهيم :
هَبْ وَاحِدًا لِوَاحِدٍ يَا وَاحِدٌ .: فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يُلَاقِي الْوَالِدُ
ففيه يتضرع إلى الله أن يشفي ولده (هبة الله) ممَّا أصابه ، وأن يُطيل عمره فقد
وظَّف الشاعر للاستعطاف والتضرع هنا عدَّة أساليب :

أولها : أسلوب الأمر : (هَبْ وَاحِدًا لِوَاحِدٍ) ، وفي إثارة التعبير بلفظ : (هَبْ) تبيان
أنَّ الشفاء والإبقاء من الله عطاء وتفضُّل وامتنان ، إذ إنَّ أصل الهبة :
" أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض " ^(١) وفي هذا من الاستعطاف والتضرع
ما فيه .

ثمَّ جاء التعبير بالوحدة : (وَاحِدًا لِوَاحِدٍ) لإبراز بالغ حاجته إلى ولده ، وأنَّ فقده
أمر شاق على نفسه ، إذ يلزم عن فقد الوحدة .

ومن جميل التعبير بأسلوب الأمر هنا اقترانه بعلمته ، فقول الشاعر : (فَقَدْ عَلِمْتَ
مَا يُلَاقِي الْوَالِدُ) علة الهبة ، وفي هذا من التضرع والاستعطاف ما فيه .

وفي إثارة التعبير بالموصولية في قوله : (فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يُلَاقِي الْوَالِدُ) تفخيم وتهويل
ومبالغة الغرض منه تصوير بالغ المعاناة التي يسببها فقد الولد ، وفيه أيضا من النَّاء
على الله بصفة العلم ما لا يخفى .

ثانيها : أسلوب الاعتراض : (يَا وَاحِدٌ) الذي وقع بين الأمر وعلمته ، الغرض منه
زيادة اللفت والتنبيه إلى حال الشاعر (الذي يلزم عن فقد) ، وفيه من التضرع إلى
الله بصفات الجلال ما فيه .

(١) مفردات الراغب . كتاب الواو . مادة (وهب) .

هذا ، وقد وظَّف الشَّاعر . كما هو بَادٍ . أسلوب الاعتراض الذي جاء في ثوب النداء لإطالة زمن المناجاة والاستعطاف إطالة تمكَّنه من تحقيق حاجات النَّفس ورغباتها ، فنفس الشَّاعر هنا مُتلهِّفة مُتَشوِّفة إلى تحقيق مضمون الدُّعاء كما ترى . واختيار الاعتراض بنداء الله بوصف الوجدانية خاصَّة تناسب بين مع قوله قبلا: (هَبْ وَاحِدًا لِوَاحِدٍ) ، ومن ثمَّ فجملة الاعتراض متولِّدة وليست غريبة . والمتأمل يُدرك تَرَاحُم أدوات الرِّيط في البيت ، حيثُ ترى البيت هنا كالكلمة الواحدة ، فالشَّطر الثاني يُمسك الشَّطر الأوَّل بأمرين : الفاء ، وعلَّة الأمر ، ولعلَّ هذا يُترجم مَدَى تمسُّك الوالد بولده ، وفُرْط تعلُّقه الشَّديد به . ولا شكَّ أنَّ تتابع حرفي الحاء والدال في البيت : (هَبْ وَاحِدًا لِوَاحِدٍ يَا وَاحِدٌ) يضيف على الكلام قدرا من الغُدوبة والسلاسة ^(١) ويرمز أيضًا إلى مدى الترابط بين عناصر البناء ، فاللفظ متَّحد ، والمعنى متنوع ، إذ عنى بالواحد ولده ، ونفسه ، وريِّه .

(١) ينظر : دراسة في البلاغة والشعر . د محمد محمد أبو موسى ص ٢٠٤ . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : الأولى . ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م .

المَبْحَثُ الثَّلَاثُ

بَلَاغَةُ الْاِمْتِدَادِ بِالاعْتِرَاضِ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الشَّاعِرِ عَن نَفْسِهِ

حديث إبراهيم بن المهدي عن نفسه أيضاً له حضور لافت في ثنايا شعره ، وكان الامتداد بأسلوب الاعتراض في ثنايا حديثه عن نفسه أيضاً حاضراً .

تتنوع صور حديث الشاعر عن نفسه بين الفخر بمكارم النفس ، والحديث عن بعض معتقدات النفس ، وأحوال بعض الناس معه ، وقد شوهد الامتداد بالاعتراض عندئذ في أربعة مواضع :

الموضع الأول قوله في مقام الفخر بالهمة :

وَمَا زِلْتُ مُذْ أَيْفَعْتُ أَسْعَى مُرَاهِقًا .: إِلَى الْغَرَضِ الْأَقْصَى أُرُورُ الْمَعَالِيَا
إِذَا قَنَعْتُ نَفْسِي بِكَأْسٍ وَمَطْعَمٍ .: فَلَا بَلَغْتُ فِيمَا تَرُومُ الْأَمَانِيَا (١)

الموضع الثاني قوله في تصوير يقينه بأن له أجلاً معلوماً :

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَبْلُغُهَا .: مَعْلُومَةٌ فَإِذَا انْقَضَتْ مِثُّ
لَوْ سَاوَرْتَنِي الْأَسْدُ ضَارِيَةً .: لَعَلَّبْتُهَا مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ (٢)

الموضع الثالث قوله في تصوير حُسن ظنه بربه :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ بِعَيْبِهِ .: بِرَبِّي تَعَالَى جَدُّهُ حَسَنُ الظَّنِّ (٣)

الموضع الرابع قوله في مطلع مقطوعة شعرية عدتها أربعة أبيات وقد ضمناها
أنيه ، وسخطه من غُروف الأصدقاء عنه :

تَحَامَانِي الصَّدِيقُ وَغَابَ عَنِّي .: ثِقَاتٌ صَنَائِعِي وَهُمْ حُضُورُ

(١) البيتان من الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٣٥ .

(٢) البيتان من الكامل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٢٣ .

(٣) البيت من الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٢٣ .

وَقَلُّوا فِي الْبِلَادِ وَكَانَ عَهْدِي .: بِهِمْ زَمَنَ الرَّخَاءِ وَهُمْ كَثِيرٌ^(١)

وفيه يقول عند البيت الرابع :

أَيَا عَجَبًا أَمَا فِي النَّاسِ مِمَّنْ .: تَقَلَّدَ نِعْمَتِي رَجُلٌ شَكُورٌ^(٢)

ففي قوله في مُستهلِّ مقطوعةٍ ، عدتها أربعة أبيات ، يتحدث فيها عن غُلُوِّ

هَمَّتِه :

وَمَا زِلْتُ مُذْ أَيْفَعْتُ أَسْعَى مُرَاهِقًا .: إِلَى الْعَرِضِ الْأَقْصَى أُرُورُ الْمَعَالِيَا^(٣)

إِذَا قَنَعْتُ نَفْسِي بِكَأْسٍ وَمَطْعَمٍ .: فَلَا بَلَّغْتَ فِيمَا تَرُومُ الْأَمَانِيَا

اتكأ إبراهيم بن المهدي على أسلوب الاعتراض في قوله : (مُذْ أَيْفَعْتُ) الذي اعترض به بين اسم زال وخبرها لزيادة اللفت والتنبيه بالطف وجهه إلى تأصل بُعد الهمة فيه منذ الصغر ، والسعي نحو غايات الأمور ومعاليها ، وأن الصفة فيه قديمة مُتمكِّنة منه ، ليست حديثة العهد ، وفي هذا من الإشارة إلى كمالها ما فيه .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ اللَّفْتَ وَالتَّنْبِيهَ مَقْصِدُ مُهَمِّ مِّنْ مَّقَاصِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، إِذْ يَدْرِكُ

المطالع أنَّ اللغة العربية وظَّفت للتنبيه أدوات عديدة ، كـ (أَلَا) ، و (أَمَا) وغيرها .

(١) البيت من الوافر . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٥٣ .

(٢) البيت من الوافر . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٥٣ .

(٣) مُذْ أَيْفَعْتُ : (يفع) الشيء ييفع يفوعا ويفعا : علا وارتفع ، والگلام شبَّ وترعرع ، أو شارف الاحتلام ، وناهز البلوغ . ينظر : المعجم الوسيط . مادة (يفع) .

مراهقا : رهقتنا الصلاة رهقا : حانت ، ويقال : هو يَعدُو الرَّهْقَى ، وهو أن يُسرِعَ في عدوه ، حتى يزهق الذي يطلبه ، والرَّهوق : النافقة الوساعُ الجواد ، التي إذا قُدَّتْهَا رَهْقَتَكَ ، حتى تكاد تطوِّك بحُقِّيها . ينظر : لسان العرب . مادة (رهق) .

هذا ، وأسلوب الاعتراض : (مُذُ أُيْفَعْتُ) أفاد واقعية إبراهيم بن المهدي ، ممَّا يدلُّ على صدقه وصدق همته ، فلم يبالغ في وصف ذاته ببعدها الهمة قبل يفاعه ، وكأنه يُنبئه إلى أن هذا الوقت هو الذي ينبغي أن ينطلق فيه كل جاد يحرص على قضاء حوائج النفس ومقاصدها .

فتأمل وصف الشاعر نفسه هنا ببعدها الهمة ، وقد خلا البيت من أسلوب الاعتراض : (مُذُ أُيْفَعْتُ) تجد الوصف منقوصا غير تام ، يتصف به الكثير من الناس غيره ، أمَّا أسلوب الاعتراض فقد جعل الوصف بالهمة وطلب المعالي شيمة وسجية مركوزة في الشاعر منذ الصغر ، فلم تكن الصفة فيه مكتسبة طارئة ، وفي إيثار فعل الاستمرار ، ومجيء اسم الفاعل مُنَوَّنًا : (وَمَا زِلْتُ مُذُ أُيْفَعْتُ أَسْعَى مُرَاهِقًا) ما يدلُّ على تمكُّن الوصف أيما تمكُّن .

وفي قوله : (أَسْعَى مُرَاهِقًا إِلَى العَرَضِ الأَقْصَى أُرُورُ المَعَالِيَا) أثر الوصف : (رَاهِقًا) لتبيان بالغ همته نحو طلب الغايات ، ومعالي الأمور ، إذ " يُقال : هو يَعْدُو الرَّهْقَى ، وهو أن يُسرِعَ في عدوه ، حتَّى يَرْهَقَ الذي يَطْلُبُهُ " (١) ، وهو ما أكده الشاعر في البيتين الأخيرين من المقطوعة ، عند قوله :

لَحَى اللهُ مَنْ يَرْضَى بِبُلْغَةِ يَوْمِهِ . : . وَأَمَّ يَكُ ذَا هَمِّ إِلَى المَجْدِ سَاعِيَا
عَلَى المَرِّ أَنْ يَسْعَى وَيَسْمُو بِنَفْسِهِ . : . وَيَقْضِي إِلَهُ الخَلْقِ مَا كَانَ قَاضِيَا
كَمَا أَنَّ سَبْكَ الوصف في قالب اسم الفاعل : (أَسْعَى مُرَاهِقًا) مقصود منه الدلالة على ثبوت الوصف وتمكُّنه ، وفي هذا من المبالغة في تصوير همته الشديدة ما لا يخفى ، جاء في تفسير الرازي . رحمه الله . أن " اسم الفاعل يدلُّ في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورُسُوخه فيه ، والفعل

(١) لسان العرب . مادة (رهق) .

الماضي لا يدلُّ عليه ، كما يُقال : فلان شرب الخمر ، وفلان شارب الخمر ،
وفلان نفذ أمره ، وفلان نافذ الأمر ، فإنَّه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار
والرِسوخ ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك " (١).

كَمَا اَمْتَدَّ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي:

إِذَا قَنَعْتَ نَفْسِي بِكَأْسٍ وَمَطْعَمٍ .: فَلَا بَلَّغْتَ فِيمَا تَرَوْمُ الْأَمَانِيَا

بقوله : (فِيمَا تَرَوْمُ) بين الفعل ومفعوله ، وذلك أيضًا لزيادة اللفت والتنبيه
إلى حقيقة نفسه ، فنفسه ليست دنيئة حقيرة ، تطلب مهاد الخُمول وتقتنع ببسير
الأشياء وزهيدا ، من شراب ومطعم ، وإنَّما نفسه ذات همَّة ، لها رغبات ومقاصد
ومطالب عالية ، فحين تتأمل بناء أسلوب الاعتراض هنا تجد الموصول : (مَا تَرَوْمُ)
يحمل في طياته ضربا من التفخيم والتهويل ، أمَّا طَرَحَ عَائِدَ الصَّلَةِ الذي يمكن
تقديره : (فيما ترومه) فلغرض العُوم ، ويشي الضمير أيضًا بأنَّ لنفسه مقاصد
وأغراضًا وأماني خاصة بها ، وهذا يُضفي على النَّفسِ ضربًا من التميُّز والتفرد عن
آحاد النَّاسِ ، وفي هذا من الفخر والاعتداد بالنفس ما فيه .

هذا ، وطَرَحَ العائد يلتقي على أحسن حال ، ويتناغى ، مع الدُّعاء على النَّفسِ التي
قنعت بالمطعم والمشرب بأن تُحرم بلوغ الأمانِي .

هذا ، وقد حالت جُملة الاعتراض : (فِيمَا تَرَوْمُ) بين الفعل ومفعوله للإشارة
إلى أنَّ بلوغ الأمانِي وإدراك المقاصد لا يتأتيان من دون رغبة صادقة ، وعزيمة
نافذة ، وأساس ذلك كلُّه نفس ذات همَّة عالية ، تروم أعالي الأمور ، كَنَفْسِ
الشَّاعِرِ .

(١) تفسير الرازي المُسمَّى بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . للإمام فخر الدين محمد بن عمر

التميمي الرازي ٢٥ / ٢٧ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٢١ هـ .

هذا ، وقد جعل الشَّاعر رضا النَّفس بيسير المطالب ، ودنيء الغايات ، كالشراب والطعام : (إِذَا قَنَعْتَ نَفْسِي بِكَأْسٍ وَمَطْعَمٍ) مدخلا للدُّعاء على النَّفس بعدم بلوغ الأمانى عند قوله : (فَلَا بَلَعْتُ فِيمَا تَرَوْمُ الْأَمَانِيَا) فربط البيت . من خلال الشَّرط . برباط وثيق ، فلا تنفك عراه ، ولا تنفصم ، كما كان للاعتراض المصدر بالفاء ، والضمائر المستترة في الشطر الثاني العائدة على النَّفس في الشطر الأوَّل أيضًا من حَبْك البيت ما لا يخفى .

وفي قول إبراهيم بن المهدي ، وهو يغني :
لِي مَدَّةٌ لَا بُدَّ أَنْبُغَهَا . : مَعْلُومَةٌ فَإِذَا انْقَضَتْ مِثْ
لَوْ سَاوَرْتَنِي الْأَسْدُ ضَارِيَةً . : لَعَلَّبَتْهَا مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ (١)
تجد أسلوب الاعتراض في قوله : (لَا بُدَّ أَنْبُغَهَا) قد اعترض به بين الصِّفة والموصوف : (لِي مَدَّةٌ .. مَعْلُومَةٌ) لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام ، وهو إبراز ثبات قلبه ، واستظهار رسوخ يقينه بالأقدار ، ونفي الوهن والخوف عنه ، فسياق الأبيات سياق فخر بمدى شجاعة النَّفس ، وشدة شكيمتها ، ويحمل الفخر هنا في طياته تأنيس الذات ، وتقويتها مما قد يختلجها من مخاوف ، وما يعتريها من تضعع ، وهذا في رأيي أقرب إلى حديث النَّفس للنفس في لحظات الأسى والحزن والضيق ، من كونه فخرا محضاً ، فالمُتأمل يتبدى له أنَّ الشَّاعر يعرف

(١) سَارَ يَسُورُ سَوْرًا وَسَوُورًا : وَتَبَّ ، وَثَارَ .. وَالْإِنْسَانُ يُسَاوِرُ إِنْسَانًا : إِذَا تَنَاوَلَ رَأْسَهُ .. وَالسَّوْرَةُ : الْوَثْبَةُ ، وَقَدْ سُرْتُ إِلَيْهِ أَي : وَثَبْتُ إِلَيْهِ . يَنْظُرُ : لِسَانَ الْعَرَبِ . مَادَّةُ (سَوْر) . كَلَّبَ ضَارًا بِالصَّيْدِ وَقَدْ ضَرِيَّ ضَرًا وَضِرَاءً وَضِرَاءً الْأَخِيرَةَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ إِذَا اعْتَادَ الصَّيْدَ ... وَهُوَ مِنَ السَّبَاعِ مَا ضَرِيَّ بِالصَّيْدِ وَلَهَجَ بِالْفَرَانِسِ . يَنْظُرُ : لِسَانَ الْعَرَبِ . مَادَّةُ (ضَرَا) .

كيف يعالج ذاته من خلال الحديث النَّفْسِي ؛ لأنَّ الأبيات قالها الخليفة الْمُغْنِي ، كما حدَّث عنه ولده (هبة الله) قال : " غضب عليّ الأمين في بعض هناته ، فسلمني إلى (كوثر) الخادم ، فحبسني في سرداب ، وأغلقه عليّ ، فمكثت فيه ليلتي ، فلمّا أصبحت ، إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السَّرْدَابِ فدفع إليّ وسطاً ، فأكلتُ ، ثمَّ أخرج إليّ قَنِينَةَ شراب ، فشربت ، وقال : غنّ لي " (١) ، فغناه هذه الأبيات ، وكانت سبب رضا الأمين عنه ، إذ يقول أيضًا : " وسمعتني (كوثر) فصار إلى محمد الأمين ، فقال له : قد جُنَّ عمك ، هو جالس يعني بكيت وكيت ، فأمر بإحضاري ، فحضرت ، وأخبرته بالقصة ، فرضي عني ، وأمر لي بسبعمائة ألف درهم " (٢) .

فموضع جُملة الاعتراض : (لا بُدَّ اَبْلُغَهَا) بين المقطوعة التي جاءت في بيتين اثنين ، موضع واسطة القلادة ، حيث تراها كالجذر لقوله في البيت التالي :

لَوْ سَاوَرْتَنِي الْأَسْدُ ضَارِيَةً . : لَغَلَبْتُهَا مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ

وفيه يثبت الشاعر . على طريقة الأدعاء والتخييل والمبالغة . شدة بأسه ، وفرط شكيمته ، من خلال تبيان مفدّرتة على مُساورة الأسد التي اعتادت ذلك ، وغلبتها ، إلا أن يكون وقت الأجل قد حان ، والمبالغة هنا في إثبات مقدار شجاعته وشدة بأسه ، لا في إثبات صفة الشجاعة وفرط الثبات فحسب .

(١) الفرج بعد الشدة ٢ / ١٥٤ .

الوسط : لون من الطعام الناشف شديد الشبه بما يسمى اليوم الساندويج . ينظر : هامش

رقم ٤ في : الفرج بعد الشدة ٢ / ١٥٤ .

(٢) الفرج بعد الشدة ٢ / ١٥٥ .

وقوله : (مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ) يجعل المبالغة مقبولة ، حيث إنَّ (ما) هنا تحمل في ثناياها مفاد الاستثناء ، وهذا يجعل للأسد إمكانية الفتك والغلبة عليه ، في وقت وحيد تكون المساورة إبان انقضاء الأجل .

حين تدقق النفس في جُملة الاعتراض : (لَا بُدَّ اَبْلُغُهَا) بين قوله : (لِي مَدَّةٌ .. مَعْلُومَةٌ) يتبين لها أَنَّ الشَّاعِرَ قد قطع بها الحديث عن تصوير مَحْدُودِيَةِ الْاَجَلِ الذي قَدَّرَهُ اللهُ له ، وفي ذلك من استظهار فرط التعلُّق بالحياة والتشبُّث بالبقاء ، وعدم الرُّكُونِ نحو اليأس الذي يلزم عنه الضَّعْفُ وَالخُمُولُ ، وفيها أيضًا مِنَ التَّسْجِيلِ عَلَى السَّمَاعِ ابتداء ببلوغ ما قَدَّرَهُ اللهُ له مِنْ اَجَلٍ عَلَى ظَهْرِ الْحَيَاةِ مَا لَا يَخْفَى .

هذا ، وقد بدا لي حُسْنُ تَنَاسُلِ جُمْلَةِ الْاِعْتِرَاضِ : (لَا بَدَّ اَبْلُغُهَا) من قوله : (لِي مَدَّةٌ) الموصوف بـ (معلومة) والذي يشي بأنَّ الأجل المعلوم له خاصَّة ، ففي جملة الاعتراض زيادة بيان وتكميل لما سبقها ، والله أعلم .

وفي قول إبراهيم بن المهدي عند البيت الثالث من إحدى مقطوعاته الشعريَّة التي جاءت في خَمْسَةِ اَبْيَاتٍ فحسب :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ بِعَيْبِهِ . . . بَرِّي تَعَالَى جَدُّهُ حَسَنُ الظَّنِّ
يبرز أسلوب الاعتراض في موضعين من البيت : أحدهما : عند قوله : (وَإِنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ بِعَيْبِهِ) ، وقد اعترض به بين اسم إنَّ وخبرها : (بَرِّي .. حَسَنُ الظَّنِّ) .

والآخر: عند قوله: (تَعَالَى جَدُّهُ) بين أجزاء جملة خبر إنَّ: (بَرِّي .. حَسَنُ الظَّنِّ)، فبين الاعتراضين تداخل ، كما ترى .

تتأتى مَحَاسِنُ جُمْلَةٍ الِاعْتِرَاضِ فِي تَقْرِيرِ الْغَرَضِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ ، وَهُوَ التَّضَرُّعُ وَالِاسْتِعْطَافُ ، وَفِيهِ أَيْضًا الْمُبَالَغَةُ فِي تَبْيَانِ حُسْنِ ظَنِّ الشَّاعِرِ بِرَبِّهِ ، ، وَلا سِيَّمًا أَنْ سِيَاقَ الْاَبْيَاتِ يَبْرُزُ نَفْسَ الشَّاعِرِ ، وَهِيَ ذَلِيلَةٌ مَنْكَسِرَةٌ ، وَهَذَا يَرْمِزُ إِلَى فَرْطِ الرَّجَاءِ وَالتَّرَقُّبِ ، فَقَبْلَ الْبَيْتِ مَوْضِعَ الشَّاهِدِ تَسْمَعُ أُنَيْنَهُ فِي قَوْلِهِ :

دَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ دَهَبَتْ مِنِّي . : هَوَى الدَّهْرُ بِي عَنْهَا وَوَلَّى بِهَا عَنِّي
فِي أَنْ أَبْكَ نَفْسِي أَبْكَ نَفْسًا نَفِيسَةً . : وَإِنْ أَحْتَسِبُهَا أَحْتَسِبُهَا عَلَى ضَنْ

وَبِالتَّفَكُّرِ فِي بِنِيَةِ اسْلُوبِ الِاعْتِرَاضِ : (وَإِنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ بِعَيْبِهِ) تَجَدُّهُ قَدْ أَثَرَ التَّعْبِيرِ بـ (إِنْ) لِيُضَعُ اِحْتِمَالُ صُدُورِ الْإِسَاءَةِ مِنْهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْضِعَ مَنْ يَشْكُ فِي إِمْكَانِيَّةِ حَدُوثِهَا مِنْهُ ، وَهَذَا يَتَنَاغَى مَعَ مَقَامِ الضَّرَاعَةِ وَالِاسْتِعْطَافِ أَيَّمَا تَنَاغٍ ، أَمَّا التَّعْبِيرُ بِالْكَوْنِ الدَّالِّ هُنَا عَلَى تَخْيُّلِ وَادِّعَاءِ رُسُوخِ اتِّصَافِهِ بِالْإِسَاءَةِ فَفِيهِ تَنَاغٌ مَعَ الْمُبَالَغَةِ فِي إِبْرَازِ حُسْنِ ظَنِّ الشَّاعِرِ وَثِقْتَهُ بِرَبِّهِ ، فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ دَلَالَةِ (إِنْ) وَالْكَوْنِ الْمَاضِي .

أَمَّا الِاعْتِرَاضُ الْآخَرُ : عِنْدَ قَوْلِهِ : (تَعَالَى جَدُّهُ) بَيْنَ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ خَبَرَ إِنْ : (بِرَبِّي .. حَسَنُ الظَّنِّ) فَتَتَأْتَى أَيْضًا مَحَاسِنُهُ فِي تَقْرِيرِ الْغَرَضِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ وَهُوَ التَّضَرُّعُ وَالِاسْتِعْطَافُ ، فَتَمْجِيدُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالتَّنْأَاءُ عَلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ ، يَتَوَاعَمُ مَعَ مَقَامِ اسْتِعْطَافِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَتَنَاسَبُ .

هَذَا ، وَيَتَبَدَّى فِي تَقْدِيمِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ : (بِرَبِّي .. حَسَنُ الظَّنِّ) اِخْتِصَاصِ الْمَوْلَى . تَبَارَكَ اسْمُهُ . دُونَ غَيْرِهِ بِحُسْنِ الظَّنِّ فِي تَفْرِيجِ الْكَرْبِ عَنْهُ ، فَهُوَ لَا يُحْسِنُ الظَّنَّ إِلَّا بِرَبِّهِ ، عَلَى طَرِيقَةِ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، فَالِاخْتِصَاصُ الْمَفَادِ مِنَ التَّقْدِيمِ تَأْذِرُ مَعَ اسْلُوبِ الِاعْتِرَاضِ فِي تَحْقِيقِ الضَّرَاعَةِ كَمَا هُوَ بَادٍ ، كَمَا أَنَّ تَزَاخُمَ صُورِ التَّوَكِيدِ فِي الْبَيْتِ يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ الْغَرَضِ الْمُنْشُودِ ، وَيَتَسَّقُ مَعَ حَالِ الشَّاعِرِ الْوَائِقِ الْمُطْمَئِنِّ لِمَوْعُودِ رَبِّهِ .

هذا ، وقد كان من آثار حُسن تضرُّع واستعطاف إبراهيم بن المهدي أنَّ المأمون رَقَّ له لَمَّا سمعه ، وقال: والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين ، فطَب نفسا ؛ فَإِنَّ اللهَ قد أَمَّنَكَ إِلَّا أَنْ تَحْدِثَ حَدِثًا يَشْهَدُ عَلَيْكَ فِيهِ عَدْلٌ وَأَرْجُو أَلَا يَكُونُ مِنْكَ حَدِثٌ ، إِنْ شَاءَ اللهُ (١)

وفي قوله في مَطْلَعِ مَقْطُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ ، عُدَّتْهَا أَرْبَعَةٌ أَيْبَاتٍ ، وَقَدْ ضَمَّنَهَا أُنَيْنَهُ وَسَخَطَهُ مِنْ عُرُوفِ الْأَصْدِقَاءِ عَنْهُ:

تَحَامَانِي الصَّدِيقُ وَعَابَ عَنِّي . : ثِقَاتٌ صَنَائِعِي وَهُمْ خُضُورٌ
وَقَلُّوا فِي الْبِلَادِ وَكَانَ عَهْدِي . : بِهِمْ زَمَنَ الرَّخَاءِ وَهُمْ كَثِيرٌ (٢)

جاء الاعتراض عند قوله : (وَكَانَ عَهْدِي بِهِمْ زَمَنَ الرَّخَاءِ) وقد اعترض به بين الجملة الحالية وما يتعلَّقُ بعاملها : (وَقَلُّوا فِي الْبِلَادِ .. وَهُمْ كَثِيرٌ) ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ : (وَكَانَ عَهْدِي بِهِمْ زَمَنَ الرَّخَاءِ) لَيْسَتْ عَاطِفَةً ، اعترض بها لتخصيص وجود الأصحاب في وقت الرِّخَاءِ خَاصَّةً ، قبل الوصول إلى طرف التقابل الآخر ،

(١) ينظر : الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني . تح : د / إحسان عباس ، ود / إبراهيم السعافين ، والأستاذ / بكر عباس ١٠ / ١١٠ . ط : دار صادر . بيروت . ط : أولى . ٢٠٠٠ م .

(٢) تحاماني الصديق : تحاماه الناس أي تَوَقَّؤُهُ واجتنبوه . ينظر : لسان العرب . مادة (ح م ا) .

صنائعي : الصَّنِيعَةُ مَا أُعْطِيَتْهُ وَأَسْدِيَتْهُ مِنْ مَعْرُوفٍ أَوْ يَدٍ إِلَى إِنْسَانٍ تَصَنَّفَتْ بِهَا وَجَمَعَهَا الصَّنَائِعُ . ينظر : لسان العرب . مادة . صنع .

العهد : الالتقاء ، وَعَهْدَ الشَّيْءِ عَهْدًا عَرَفَهُ ، وَمِنْ الْعَهْدِ أَنْ تَعْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى حَالٍ أَوْ فِي مَكَانٍ ، يُقَالُ : عَهْدِي بِهِ فِي مَوْضِعٍ كَذَا ، وَفِي حَالٍ كَذَا ، وَعَهْدْتُهُ بِمَكَانٍ كَذَا أَي : لَقِيْتُهُ . ينظر : لسان العرب . مادة (عهد) .

فمقتضى ظاهر البيت أن يقول : (وَقَلُّوا فِي الْبِلَادِ وَهُمْ كَثِيرٌ) ؛ إذ هو حكاية عن قلة وجود الأصحاب في وقت الشدة ، مع أنهم كثيرون ، ولا شك أن التقابل بين القلة والكثرة يوضح ما عليه حال الأصحاب أتم توضيح .

ويبدو لي أن الشاعر خصَّ التقابل والاعتراض بتبيان تلك الحقيقة ، حيث يرى الناظر حضور الطَّباق أيضًا قبل موضع الشاهد عند قوله في المطلع : (وَغَابَ عَنِّي ثِقَاتٌ صَنَائِعِي ، وَهُمْ حُضُورٌ) .

ثم إن التناقض في أحوال الناس ، الذي أبرزه التقابل ، يعد أحد مظاهر إحكام السرد وتماسك السبك وتلاحم المعاني وانسجامها وائتلافها ، فـ " التقابل أسلوب في التعبير يقوم على إقامة مبدأ تضاد بين الألفاظ والمعاني ، والأفكار والصور ، تحقيقاً لغايات بلاغية وقيم فكرية .. وهو يعد أسلوباً من الأساليب البارزة التي يجيء الاعتماد عليها عن قصد ، وفي مواضع كثيرة من القرآن العظيم ، كما أن الأدب العربي بشعره ونثره قد تميَّز بها ، وبخاصة الشعر الجاهلي .. يعد مبدأ التقابل عاملاً من عوامل التوازن والجمال في الصور والأشكال الهندسية ، وفي الموسيقى وفن التلحين ، والقرآن الكريم يُكثر في نظمه من استخدام هذا المبدأ ، ويجعله أداة فنية للبيان ، ووسيلة للتأثير في النفوس " (١) ومن الجيد في هذا البحث (٢) أن صاحبه قد خلص إلى أن : التقابل شبكة من العلاقات البنائية والدلالية التي تسهم في نسج النص وربطه وتعالقه .

(١) مجلة بونة للبحوث والدراسات . مجلة دورية محكمة . بحث بعنوان : ثنائية (التعب والراحة) في

سورة (الضحى) وأثرها في تماسك النصّ للدكتور / أيوب جرجيس العطية من جامعة التنمية البشرية

في السلّمانية بالعراق ص ٧٥ . العدد المزدوج (٢٠/١٩) . عدد ربيع الأول ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣ م .

(٢) راجع : ثنائية (التعب والراحة) في سورة (الضحى) وأثرها في تماسك النصّ ص ٧٣ ، ٨٣ ،

وغيرهما .

وَأَنَّ الْمَقَابِلَةَ تَنْدَمِجُ وَتَلْتَبِسُ مَعَ قَوَالِبِ الْمَعَانِي فَتَصْبِحُ مَرْتَكِزًا بِنَائِيَا يَتَكَيُّ عَلَيْهِ النَّصُّ اللَّغَوِيُّ فِي مَكُونَاتِهِ وَعِلَاقَاتِهِ ، فَتَتَوَلَّدُ جَمَالِيَاتُهَا مِنْ اِنْدِمَاجِهَا وَإِضَاعَتِهَا لِلنَّصِّ اللَّغَوِيِّ مُؤَدِيَةً إِلَى وَضُوحِ دَلَالَاتٍ تَرْكِيبِيَّةٍ ، وَهَنَا تَبْرُزُ بِلَاغَةُ الْمَقَابِلَةِ فِي أَجْمَلِ صَوْرِهَا .

كَمَا أَنَّ أَسْلُوبَ الْاِعْتِرَاضِ : (وَكَانَ عَهْدِي بِهِمْ زَمَنَ الرَّخَاءِ) قَرَّرَ بِهِ الشَّاعِرُ أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَقْصُودُهُ مِنْ بَيَانِهِ ، وَهُوَ ذَمُّ غَيْبَةِ الصَّدِيقِ فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ ، وَحُضُورِهِ فِي الرَّخَاءِ ، وَمَكَّنَهُ أَتَمَّ تَمَكُّينَ .

هَذَا ، وَتَدَاخُلُ نَظْمِ الْجُمْلِ هُنَا يُنْبِئُ عَنِ اِخْتِلَافِ مَشَاعِرِ الشَّاعِرِ وَتَدَاخُلِ أَحَاسِيْسِهِ ، فَهُوَ بَيْنَ حُزْنٍ وَأَسَى ، وَدَهْشَةٍ وَاسْتِغْرَابٍ .

وَجَاءَ قَوْلُ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عِنْدَ الْبَيْتِ الرَّابِعِ مِنَ الْمَقْطُوعَةِ:

أَيَا عَجَبًا أَمَا فِي النَّاسِ . مِمَّنْ . : . تَقَلَّدَ نِعْمَتِي . رَجُلٌ شَكُورٌ
فِي تَبْيَانِ تَعْجَبِهِ وَبَالِغِ دَهْشَتِهِ مِنْ تَنَكُّرِ النَّاسِ وَجُحُودِهِمْ نِعْمَانِهِ عَلَيْهِمْ ،
وَبِخَاصَّةِ أَوْلَائِكَ الَّذِينَ شَمَلَتْهُمْ نِعْمَتُهُ الْغَزِيرَةُ ، وَغَمَرَهُمْ عَطَاءُهُ الْوَاسِعُ ، وَكَأَنَّهُ
لَا يَجِدُ لِأَوْلَائِكَ خَاصَّةً مَنْدُوحَةً فِي اجْتِنَابِهِ ، وَالْعَزُوفَ بَعِيدًا عَنْهُ .

فَفِي الْبَيْتِ اعْتَرَضَ الشَّاعِرُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ الْمُصَدَّرِ بِ (أَمَا) الَّتِي لِلتَّنْبِيهِ:
(أَمَا فِي النَّاسِ .. رَجُلٌ شَكُورٌ) بِقَوْلِهِ : (مِمَّنْ تَقَلَّدَ نِعْمَتِي) ، وَالْغَرَضُ تَخْصِيصُ
الْعَجَبِ وَتَقْيِيدُهُ فِي فَنَاءٍ خَاصَّةٍ ، فَنَاءِ أَوْلَائِكَ الَّذِينَ شَمَلَتْهُمْ سَيِّبُ الشَّاعِرِ وَرَفَدَهُ ؛ لِأَنَّ
هُوَ لَأَوْلَى بِالشُّكْرِ وَعَدَمِ التَّنَكُّرِ وَالْجُحُودِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَتَعْبِيرُهُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي الدَّالِّ
عَلَى تَحَقُّقِ الْفِعْلِ : (تَقَلَّدَ) تَجَدُّهُ يُوحِي بِمَعْنَى الْجَمْعِ الدَّالِّ عَلَى وَفْرَةِ الْعَطَاءِ ،
وَكَثْرَتِهِ ، فَفِي اللِّسَانِ : " قَلَّدَ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ ، وَاللَّبْنَ فِي السَّقَاءِ ، وَالسَّمْنَ فِي

النَّحْيِ ، يَقْلِدُهُ قَلْدًا : جَمَعَهُ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ قَلَدَ الشَّرَابَ فِي بَطْنِهِ ، وَالْقَلْدُ : جَمَعَ الْمَاءَ فِي الشَّيْءِ ، يُقَالُ : قَلَدْتُ أَقْلِدُ قَلْدًا أَي : جَمَعْتُ مَاءَ إِلَى مَاءٍ " (١) .

وَفِي اللَّفْظِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى بَالِغِ جُودِ الرَّجُلِ مَعَ أَصْحَابِهِ ، إِذْ يُوحِي اللَّفْظُ بِأَنَّهُ كَانَ فِي الْمَاضِي يَلْزِمُهُمْ بَعْطَانَهُ ، وَلَوْ كَانُوا مُوسِرِينَ ، فَفِي اللِّسَانِ يُقَالُ : " قَلَدَهُ الْأَمْرَ : أَلْزَمَهُ إِيَّاهُ " (٢)

وَفِي إِضَافَةِ النُّعْمَةِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ : (نِعْمَتِي) تَبْيَانٌ لِعِظْمَةِ النُّعْمَةِ وَكَثْرَتِهَا أَيْضًا فَالشَّاعِرُ لَا يُضَيِّفُ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا مَا يُوحِي بِالتَّكْرِيمِ وَالتَّشْرِيفِ ، وَفِي الْإِضَافَةِ أَيْضًا شُوبَ التَّبَكُّيْتِ وَالتَّقْرِيعِ لِهَوْلَاءِ الْجَاهِدِينَ .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْغَرَضَ مِنَ التَّنْوِينِ فِي قَوْلِهِ : (رَجُلٌ شَكُورٌ) الْإِفْرَادَ ، فَالشَّاعِرُ يَتَعَجَّبُ مِنْ خُلُوِّ النَّاسِ مِنْ شَكُورٍ وَاحِدٍ لَا يَنْسَى فَضْلَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .



(١) لسان العرب . مادة (قَلَدَ) .

(٢) المصدر السابق . مادة (قَلَدَ) .

المبحث الرابع

بِلاغَةُ الْاِمْتِدَادِ بِالاعْتِرَاضِ فِي سِيَاقِ الرَّثَاءِ

يَتَجَلَّى فَنَ الرَّثَاءِ فِي : الْاِفْصَاحِ عَنِ اِحْسَاسِ النَّاسِ الْعَمِيقِ بِالْحُزَنِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَمَحَاوَلَةِ ذِكْرَاهُمْ بِتَمْجِيدِهِمْ ، وَبَيَانِ فِضَائِلِهِمْ الَّتِي مَاتَتْ بِمَوْتِهِمْ ، مَعَ التَّفَكِيرِ بِالْقَدْرِ ، وَقُصُورِ النَّاسِ أَمَامَهُ ، وَعَبَثِهِ بِهِمْ ، وَلَعْبِهِ بِحَيَاتِهِمْ وَمَوْتِهِمْ (١) فَهُوَ شِعْرٌ " أَسَاسُهُ الْوَفَاءُ أَوْ السَّجِيَّةُ يَقْضِي الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ حُقُوقًا سَلَفَتْ ، أَوْ يَرْسِلُ تَعَادَا لِمَآثِرِ الْأَهْلِ ... ثُمَّ يَعْدِدُونَ مَآثِرَ الْمَيِّتِ مُبَلَّلَةً بِالذَّمُوعِ " (٢) .

هَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِلْاعْتِرَاضِ أَيْضًا وَرُودٌ فِي رِثَاءِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ لَوْلَدِهِ فِي مَوْضِعٍ وَجِيدٍ مِنْ شِعْرِهِ ، عِنْدَ قَوْلِهِ :

وَإِنِّي وَإِنْ قُدِّمْتُ قَبْلِي لَعَالِمٍ .: بِأَنِّي وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ (٣)

فَقَدْ حَقَّقَ الْاعْتِرَاضَ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ بَيْنَ اسْمِ إِنْ وَخَبَرِهَا عِنْدَ قَوْلِهِ : (وَإِنْ قُدِّمْتُ قَبْلِي) ، وَكَذَا الْاعْتِرَاضَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي بَيْنَ اسْمِ إِنْ وَخَبَرِهَا عِنْدَ قَوْلِهِ : (وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ) زِيَادَةً فِي تَقْرِيرِ حَقِيقَةِ أَرْبَابِيَّةِ ، وَهِيَ أَنَّ الْمَوْتَ آتٍ لَا مَحَالَةَ ، وَأَنَّهُ سَيَلْحَقُ الْأَبَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، كَمَا أَصَابَ الْاِبْنَ مِنْ قَبْلِ ، فَهُوَ وَإِنْ أَبْطَأَ

(١) ينظر : الرثاء . شوقي ضيف ص ٧ . ط : دار المعارف . القاهرة . ط : رابعة . من دون تاريخ .

(٢) المعجم المفصل في الأدب . د / محمد التونجي ٢ / ٤٧٣ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط : ثانية . ١٤١٩ هـ . ١٩٩٩ م .

(٣) البيت من بحر الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١١٢ .

عنه ساعة قريب منه ، مع ما في الجملتين الاعتراضيتين أيضاً من التأكيد والتقريب على معاني الأسى والتحرُّن والتحسُّر على فراق الولد .

ففي جملة الاعتراض عند قوله : (وَإِنْ قُدِّمَتْ قَبْلِي) تلمس حسرة الشَّاعر على فراق ولده ، وكأنَّه يفتديه بنفسه ، ويتمنى لو أصابه الموت ، ونجا وليده ، ففي بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله هنا تبرز بوضوح عاطفة الأب الذي يكره أن يقدم ابنه للموت ، وكيف يُحبّ ذلك ، وهو قطعة من فؤاده؟! وفيه أيضاً إشارة بيّنة إلى أنَّ الموت يصدر من فاعل عظيم ، قضاؤه نافذ ، وأمره حتم ، ولا قدرة للأب على دفعه وردّه .

هذا ، وقد أحسن الشَّاعر إثبات أداة الشرط (إِنْ) التي تُستخدم فيما هو مشكوك الوقوع هنا عند قوله : (وَإِنْ قُدِّمَتْ قَبْلِي) لموافقها حسرة الشَّاعر ولوعته وولعه على فراق ولده ، وكذا توقُّعه بأن يكون الأب السَّابق إلى الدَّار الآخرة ، كما كان السَّابق إلى متاع الغرور .

وفي قوله : (وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ) مُبالغة في تقرير قرب الموت منه ، وفي ذلك من تسلية النَّفس ما لا يخفى ، وهنا تلحظ إثبات الشَّاعر لأداة الشرط (إِنْ) التي تُستخدم فيما هو مشكوك الوقوع أيضاً للإشارة إلى عدم تيقُّن الحياة بعد ولده وفيها أيضاً إشارة إلى سرعة اللحاق به ، ورجاء ذلك ، وتصوير لوعته ، وشدة ارتباطه بولده ، ما لا يخفى .

هذا ، والتعبير بالإبطاء خاصَّة يجري مع الغرض المسوَّق له الكلام ، وهو تقرير حقيقة الموت ، وتبيان مدى قُرْبِهِ ، ويتَّسق معه ، ويتناغم ، وهو في رأيي أوفق ، وأوقع ، وأبلغ ، من التعبير بالتأخير ، في رواية :

(وَإِنْ أُخِّرْتُ مِنْكَ) (١) لِأَنَّ التَّعْبِيرَ بِالتَّأخِيرِ قَدْ يُوحِي بِطُولِ الْمَكْثِ ، وَبُعْدِ الْأَجْلِ بَعْدَهُ ، لَكِنْ بِنَاءِ (أُخِّرْتُ) لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَقَاءَ الشَّاعِرِ بَعْدَ وَلَدِهِ أَمْرٌ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، وَهُوَ فِي رَأْيِي أْبْلَغُ مِنْ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَعْلُومِ ، فِي : (وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ) ، مَعَ مَا فِي إِيْثَارِ (مِنْ) الْجَارَةِ الدَّالَّةُ هُنَا عَلَى ابْتِدَاءِ الْغَايَةِ ، أَوْ انْتِهَائِهَا ، مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى تَيَقُّنِ اللَّحَاقِ بِالْأَبْنِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ اللَّحَاقَ بِنَهَايَةِ الْأَجْلِ مَبْدُوهٌ وَمُنْتَهَاهُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَفِي ذَلِكَ مِنْ تَسْلِيَةِ النَّفْسِ ، وَالتَّسْلِيمِ بِتِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيَّةِ مَا فِيهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ : (وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ) (٢) تَرَى الشَّاعِرَ قَدْ آثَرَ : (عَنْ) الدَّالَّةُ عَلَى الْمُجَاوِزَةِ ، مَكَانَ : (مِنْ) لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمَوْتَ يَطْلُبُ الْأَبَّ كَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ تَجَاوَزَهُ إِلَى الْإِبْنِ ، وَسَيَعُودُ إِلَيْهِ لَا مُحَالَةً ، فَحَرَفَ الْجَرَّ : (عَنْ) . كَمَا يَبْدُو لِي . أَعَانَ

(١) ينظر : أشعار أولاد الخلفاء ص ٤٥ .

تَجْدَرُ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ أَثَرَ تَعَدُّدِ الرِّوَايَاتِ الشَّعْرِيَّةِ عَلَى الْمَعْنَى فِي شِعْرِ الْخَلِيفَةِ الْمُغْنِي اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كُلُّهُ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى دَرَسَةٍ جَادَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ، تَسْتَوْفِي تِلْكَ الْجَوَانِبَ ، وَتَبْرِزُ آثَارَهَا فِي ثَوْبِ قَشِيْبٍ ، وَلا سِيْمَا أَنَّ مُحَقِّقَ شِعْرِهِ الدُّكْتُورَ / مُحَمَّدَ مَصْطَفَى أَبُو شَوَّارِبِ . نَفَعَ اللَّهُ بِجَهْدِهِ . قَدْ سَعَى سَعْيًا حَثِيثًا إِلَى إِثْبَاتِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ فِي هَامِشِ التَّحْقِيقِ ، وَهَذَا بِلَا شَكِّ يُعِينُ الدَّارِسَ الْجَادَ إِلَى بُلُوغِ مُبْتَغَاهِ .

فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ رِوَايَاتِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ تَعْدُ جُزْءًا رَئِيسِيًّا مِنْهُ ، بِمَعْنَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِدَائِلِ هَامِشِيَّةٍ غَيْرِ مُشَارِكَةٍ فِي تَحْقِيقِ هَوِيَّةِ النَّصِّ مِنْ حَيْثُ الْإِمْكَانَاتِ الْجَمَالِيَّةِ ، أَوْ مِنْ حَيْثُ حَقُولِ الدَّلَالَةِ وَإِمْكَانَاتِ التَّأْوِيلِ ، بَلْ هِيَ جُزْءٌ مُعْرَفٌ لِلنَّصِّ عَلَى هَذِهِ الْمَسْتَوِيَّاتِ . يَنْظُرُ : تَعَدُّدُ الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ نُمُوْنَجَا . أَيْمَنُ بَكْرُ ص ٣٧٠ . مَجَلَّةُ فُصُولِ . مَجَلَّةُ النُّقْدِ الْأَدْبِيِّ . عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ . مِصْرُ . الْعِدَدُ : السَّادِسُ وَالسُّتُونَ . ٢٠٠٥ م .

(٢) ينظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ٢ / ٥١٢ . ط : دار مكتبة الحياة . بيروت . وينظر : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الدمشقي . تح : مصطفى عبد القادر عطا . ٣٢٨ / ٤ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت .

الشَّاعِرُ كَثِيرًا عَلَى تَصْوِيرِ قُرْبِ الْمَوْتِ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْإِبْطَاءَ قَلِيلٌ مَحْدُودٌ فَمَا أَجْمَلَ تَكَامُلَ الْمَعَانِي وَثَرَاءَهَا مَعَ اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ وَتَعَدُّدِهَا ! وَكُلُّ هَذَا يُتْرَجَمُ مَدَى الْحِفَاوَةِ وَالْعِنَايَةِ بِشِعْرِ الْخَلِيفَةِ الْمُغْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .

كَمَا أَنَّ تَزَاحِمَ أَدْوَاتِ التَّوَكِيدِ فِي الْبَيْتِ هُنَا يَتِمَاشَى مَعَ زِيَادَةِ تَقْرِيرِ الْغَرَضِ الْمَسْوَوقِ لَهُ الْكَلَامِ مَهْمَةً الْجُمْلَةَ الْإِعْتِرَاضِيَّةَ ، وَوُقُوعَ الشَّاهِدِ قَبْلَ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي بَلَغَتْ سِتَّةَ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا يُتْرَجَمُ مَدَى تَأْنُقِ الشَّاعِرِ وَتَجْوِيدِهِ ؛ لِأَنَّ الْإِنْتِهَاءَ " قَاعِدَةُ الْقَصِيدَةِ ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى مِنْهَا فِي الْأَسْمَاعِ ، وَسَبِيلُهُ أَنْ يَكُونَ مُحْكَمًا : لَا تَمَكَّنُ الزِّيَادَةَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَإِذَا كَانَ أَوَّلَ الشَّعْرِ مَفْتَاخًا لَهُ ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْآخِرَ قَفْلًا عَلَيْهِ " (١) ، وَلِهَذَا يُسْتَحْسَنُ . وَلَعَلَّهُ كَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعَ الشَّاهِدِ . " أَنْ يَكُونَ بِمِثَابَةِ أَطِيبِ لُفْمَةٍ فِي آخِرِ الطَّعَامِ ، أَوْ بِمِثَابَةِ آخِرِ اللَّسَاتِ النَّاعِمَةِ الْمَوْثَرَاتِ الَّتِي تَغْلُقُ فِي النُّفُوسِ ، وَتَسْكُنُ عِنْدَهَا سُكُونٌ ارْتِيَاحٌ " (٢) وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .



(١) الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشَّعْرِ وَآدَابِهِ وَنَقْدِهِ لِابْنِ رَشِيقِ الْقَيْرَوَانِيِّ . تَحْقِيقٌ : مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ . ١ / ٢٣٩ . ط : دَارُ الْجِيلِ . بَيْرُوتُ . لُبْنَانُ . ط : خَامِسَةٌ . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

(٢) الْبِلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ . أُسُسُهَا وَعِلْمُهَا وَفَنُونُهَا وَصُورُ مِنْ تَطْبِيقَاتِهَا بِهَيْكَلٍ جَدِيدٍ مِنْ طَرِيفِ وَتَلِيدِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حَسَنِ حَبْنَكَةَ الْمِيدَانِيِّ ٢ / ٥٦٣ . ط : دَارُ الْقَلَمِ . دِمَشْقُ وَالِدَارُ الشَّامِيَّةُ . بَيْرُوتُ . ط : أُولَى . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م .

المبحثُ الخامسُ

بِلاغَةُ الامْتِدَادِ بِالاعتِرَاضِ فِي سِيَاقِ الوَصْفِ

يُعَدُّ غرضُ الوَصْفِ أَعزَرَ الأَغراضِ الشَّعْرِيَّةِ نِتَاجاً، ف " الشَّعْرُ إِلا أَقْلَهُ راجعٌ إِلى بابِ الوَصْفِ، وَلا سَبِيلَ إِلى حَصْرِهِ وَاسْتَقْصَانِهِ " (١) وَهُوَ . فِي أَخْصَرِ لَفْظٍ . يَعْني " ذَكَرَ الشَّيْءَ كَمَا فِيهِ مِنَ الأَحْوالِ وَالمُهَيَّئاتِ " (٢) .

تَجَلَّى الامْتِدَادُ بِالاعتِرَاضِ فِي شِعْرِ الوَصْفِ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بنِ المَهْدِيِّ، فِي مَوَضعين :

الموضعُ الأوَّلُ: قَوْلُهُ فِي سِيَاقِ الحَدِيثِ عَنِ النَّاقَةِ :

وَرَاغِبِيَّةٌ تَنْتَكُ عَنِ التَّصَابِي . : كَمَا تَنْتُ الضَّعِيفُ يَدَ القَوِيِّ
هُنَاكَ شَكْوَتٌ مَا تَلْقَى إِلَيْهَا . : كَمَا يَشْكُو الفَقِيرُ إِلى الغَنِيِّ
تَسَاقُطٌ وَهِيَ فَاتِرَةٌ المَاقِي . : تَسَاقُطٌ مُهْجَةٌ الطَّبِّي الرَّمِيِّ (٣)

الموضعُ الثَّانِي قَوْلُهُ فِي وَصْفِ صَلْبِ بَابِكُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا المَعْتَصِمَ :

مَا زَالَ يَغْتَفُ بِالنُّعْمَى فَنَفَّرَهَا . : عَنهُ الغُمُوطُ وَوَأَقْتَهُ الأَرَاصِيدُ
حَتَّى عَلا حَيْثُ لا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا . : كَمَا عَلا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ العُودُ (٤)
يَا بُقْعَةَ ضُرِبَتْ فِيهَا عِلاوَتُهُ . : وَعَيْنُهُ وَدَوَتْ أَغْصَانُهُ المِيدُ

(١) العمدة لابن رشيق ٢ / ٢٩٤ .

(٢) نقد الشعر لقدماء بن جعفر . تح : د / محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٢٠ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .

(٣) البيت من بحر الوافر . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٣٨ .

(٤) البيت من البسيط . ينظر شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٣٥ .

بُورِكْتِ اَرْضًا وَأَوْطَانًا مُبَارَكَةً .: مَا عَنكَ فِي الْاَرْضِ لِلتَّقْدِيسِ تَعْرِيدٌ (١)

ففي قول ابراهيم بن المهدي في وصف ناقته :

وَرَاغِيَةً تَنْتَكُ عَنِ التَّصَابِي .: كَمَا تَنَّتِ الضَّعِيفُ يَدَ الْقَوِيِّ

هُنَاكَ شَكُوتٌ مَا تَلْقَى إِلَيْهَا .: كَمَا يَشْكُو الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ

تَسَاقَطٌ وَهِيَ فَاتِرَةٌ الْمَاقِي .: تَسَاقَطُ مَهْجَةِ الظُّبْيِ الرَّمِيِّ (٢)

وَتَجْرِي الْخَمْرُ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْهَا .: عَلَى سَمَطَيْنِ مِنْ دُرٍّ نَقِي

وقعت جملة الاعتراض بالجملة الحالية : (وَهِيَ فَاتِرَةٌ الْمَاقِي) بين الفعل

ومصدره المُبَيَّنُّ لنوعه ، وهي تدلُّ على الحال دلالة ومعنى ، لكنَّها وقعت . كما هو

باد . موقع الاعتراض ، فأخذت محاسنه وفضائله .

(١) البيتان من بحر البسيط شعر ابراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٣٦ .

(٢) راغية : الرُّغَاءُ : صَوْتُ نَوَاتِ الْخَفِّ . ينظر : اللسان . مادة (رغا) .

الصَّبَا مِنَ الشَّوْقِ ، يُقَالُ مِنْهُ تَصَابَى ، وَصَبَا يَصْبُو صَبُوءًا وَصَبُوءًا أَي : مَالَ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُتُوَّةِ .

تساقط : تساقط على الشيء أي ألقى نفسه عليه وأسقطه هو وتساقط الشيء تتابع سقوطه ... يقال الرجل فيه سقاط إذا فتر في أمره ووئى . ينظر : اللسان . مادة (س ق ط) .

فاترة : الْفَتْرَةُ الْاِنْكِسَارُ وَالضَّعْفُ ... وَفَتَرَ الْمَاءُ سَكَنَ حَرَهُ ، وَمَاءٌ فَاتَرٌ فَاتِرٌ ، وَطَرَفٌ فَاتِرٌ فِيهِ فُتُورٌ وَسُجُورٌ لَيْسَ بِحَادِّ النَّظَرِ ، اِبْنُ الْأَعْرَابِيِّ أَفْتَرَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُفْتَرٌ إِذَا ضَعَفَتْ جَفُونُهُ فَانْكَسَرَ طَرَفُهُ ، الْجَوْهَرِيُّ طَرَفٌ فَاتِرٌ : إِذَا لَمْ يَكُنْ حَدِيدًا . ينظر : لسان العرب . مادة (ف ت) .

المَاقِي : مُوقُ الْعَيْنِ طَرَفُهَا مِمَّا يَلِي الْأَنْفَ ، وَالْجَمْعُ آمَاقٌ وَأَمْنِاقٌ ، مِثْلُ آبَارٍ وَأَبْنَارٍ ، وَمَاقِي الْعَيْنِ لُغَةٌ فِيهِ . ينظر : مختار الصحاح . مادة (م أ ق) .

الظبي الرمي : المصاب . ينظر هامش رقم (٥) في : شعر ابراهيم بن المهدي وأخباره ص ٢٣٨ .

فالشاعر هنا يُشَبِّهه على طريقة التشبيه المؤكِّد الذي يأتي على صورة المصدر، وهو من أحسن ما يستعمل في باب التشبيه (1) تساقط عيني الناقاة قبل الدخول في النوم بتساقط عيني الطَّيِّبِ المصاب ، والغرض من التشبيه تحسين حال المشبه. ولا شك أنَّ فتور العين ، وانكسارها ، وعدم حدتها ، مظهر من مظاهر جمال العين في تراثنا الشعري على مر العصور ، فهو طريق سلوك متداول .

وقد امتدَّ الشاعر بجملة الاعتراض هنا ؛ لأنَّ وصف العين حال مُغالبة النوم أهم ما يتعلَّق به غرض وصف مخالطة النوم لعين الناقاة ، فالعين أظهر ما يتبدَّى فيه أثر النَّعاس على الإنسان والحيوان كما هو مشاهد ، ومن ثمَّ فالاعتراض مكنَّ الشاعر من النص على هيئة عيني الناقاة حال تساقطها ومغالبتها النوم ، ولو سقط من الكلام لسقط جزء مهمٌّ من أجزاء الصورة ، ومن ثمَّ رأيتُه لمزيد عنايته ببيان هيئة عيني الناقاة يقطع حديثه عن تساقط ناقتة بالجملة الاعتراضية ، ثمَّ يعود إليه مرَّة أخرى ، وفي (تساقط) حذف التاء إذ أصل الفعل (تتساقط) ما يتناغى مع سقوط الناقاة حال النوم .

فالاعتراض هنا أفاد أيضًا امتداد زمن تساقط الناقاة المُستملح الذي أقام الشاعر البيت له ؛ لأنَّ ما قبل الاعتراض تساقط ، وما بعده تساقط ، وهي بين هذين تتهدى فاترة المآقي ليبدو الاعتراض كاشفا حال المحبِّ المُتعمِّق في النَّظَر إلى ناقتة حال تهاديتها للنوم .

هذا ، وجملة الاعتراض بما اشتملت عليه من ضمير الناقاة تعد أداة من أدوات سبك النَّصِّ وتماسكه وترابطه ؛ إذ تمثل جملة الاعتراض في هذا السِّيَاق وصلة

(1) ينظر : المثل السائر لابن الأثير . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ١ / ٣٧٩ . ط : المكتبة العصرية للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٩٥ م .

لوصف مخالطة النوم عيني الناقاة ، ووصف حالها وهي نائمة في البيت التالي عند قوله :

وَتَجْرِي الْخَمْرُ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْهَا .: عَلَى سَمَطَيْنِ مِنْ دُرِّ نَقِيٍّ (١)
فهو يشبه ضمنا شفتي الناقاة وأسنانها بعقدين منظومين من دُرِّ نَقِيٍّ ، والجامع فرط الحُسن والصفاء في كلِّ ، والغرض تحسين حال المشبه ببيان دقة وبياض وجمال ثغرها ، كما ترى .

ويعدُّ التكرار الاشتقائي بين الفعل ومصدره : (تَسَاقَطُ تَسَاقُطًا) في البيت رباطا محكما قد ربط صدر البيت بعجزه .

كما أنَّ التناسب بين مفردات البيت : (المآقي ، مهجة) واستدعاء (الظبي الرمي) مُشَبَّهاً به أحد أهم آليات تماسك البيت وترابطه .

وفي قول إبراهيم بن المهدي يصف صلب بابك (٢) من قصيدة يمدح بها الخليفة المعتصم :

(١) سمطين : السمط : الخيط ما دام الخرز و نحوه منظوما فيه . ينظر : المعجم الوسيط . لإبراهيم مصطفى ، و / أحمد حسن الزيات و / حامد عبد القادر ، و / محمد علي النجار ص ٤٤٩ . مادة (سمط) . ط : مكتبة الشروق الدولية . ط : رابعة . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

(٢) بابك : هو بابك الخرمي .. وإنما قيل له : بابك الخرمي ؛ لأنه دعا الناس إلى مقالة الخرمية ، وهو لفظ أعجمي يُنبئ عن الشيء المستطاب المستلذ ؛ لأنهم يعتقدون إباحة الأشياء ، وهو راجع إلى عدم التكليف والتسلط على اتباع الشهوات ... وكان ظهور بابك سنة إحدى ومائتين بناحية أذربيجان ، وتبعه خلق عظيم على رأيه ، فأقام عشرين سنة يهزم جيوش المأمون والمعتصم ، فيقال : إنه قتل مائة ألف وخمسين ألفاً وخمس مائة إنسان ، ولما قتله المعتصم وفُتحت مدينته وُجد فيها سبعة آلاف وست مائة امرأة مسلمة . ينظر : الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي . تح : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ١٠ / ٣٨ . ٤٠ . ط : دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . ط أولى ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .

مَا زَالَ يَغْتَفُ بِالنُّعْمَى فَنَفَّرَهَا .: عَنْهُ الْغُمُوطُ وَوَأَقْتَهُ الْأَرَاصِيدُ
حَتَّى عَلَا حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا .: كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ (١)
وقع الاعتراض : (حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا) بين البنية التشبيهية : (حَتَّى عَلَا ..
كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ) ، وكأنَّ أسلوب الاعتراض تسابق مع المُشَبَّه به
في تصوير حال المصلوب من العلو والارتفاع فسبق ، أو لعلَّ الشاعر جعل
الاعتراض مُوطَّنًا ومُمهَّدًا للمُشَبَّه به ، فيبرز حُسْنَ الاعتراض وجماله هنا في زيادة
تقرير الغرض المُسَوَّق له الكلام ، وهو المُبالغة في حال الصلب ، وتقبيح حال
المصلوب ، والازدراء به .

فزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام جمالية مهمة يشترك في تحقيقها مع
أسلوب الاعتراض الكثير من أساليب البلاغة العربية ، كالتعبير بالموصولية ،

(١) يغنف : الغنف الخُرْقُ بالأمر وقلة الرُفْقُ به وهو ضد الرفق . ينظر : لسان العرب . مادة
(ع ن ف) .

الغموط : غمط النعمة : احتقرها ولم يشكرها . ينظر : أساس البلاغة للزمخشري . تح :
محمد باسيل عيُون السُّود . ١ / ٧١٣ . مادة (غمط) . ط : المكتبة العلمية . بيروت . لبنان .
ضمن منشورات محمد علي بيضون . ط : أولى . ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م .

واقته : وقاه الله وقياً ووقايةً وواقيةً صانه .. وتوقى واتقى بمعنى ، ومنه الحديث : تَبَّقَهُ
وتَوَقَّه أَي : اسْتَبَقِي نَفْسَكَ وَلَا تُعْرَضْنَهَا لِلتَّلَفِّ . ينظر : لسان العرب . مادة (وقى) .

الأراصيد : الراصدُ بالشيء الراقب له .. والإرصاد : الانتظار ، وقيل : الإرصاد : الإعداد
ينظر : لسان العرب . مادة (ر ص د) .

=واقته الأراصيد : أي وقف له القضاء بالمرصاد . ينظر هامش رقم (١) في : شعر
إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٣٥ . أورد العود : وَرَقَّتْ الشجرة تَوْرِيْقًا وَأَوْرَقَتْ إِبْرَاقًا
=أخرجت وَرَقَهَا وَأَوْرَقَ الشجرُ أَي خرج وَرَقُهُ وشجرة وارقةً ووريقةً وورقةً خضراء الورد
حسنة . ينظر : اللسان . مادة (ورق) .

ووضع الإظهار موضع الإضمار، والتفصيل عقب الإجمال ، وغيرها ، لكن يظل للاعتراض مذاقه الخاص ، ووسمه المتفرد على البيان البليغ .
فأسلوب الاعتراض : (حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا) أفاد المبالغة الشديدة في ارتفاع علو (بابك) حين الصلب ، إلى غير غاية ، وقد آزره في تصوير ذلك : التشبيه، والظرف : (أبدأ) ، والكناية التي ألبسها الشاعر ثوب الظرفية الدالة على الكثرة والاستغراق .

فألبيت صورة تشبيهية يصور فيها الشاعر علو (بابك) الحسي وقت الصلب، بعلو جاهه ، وارتفاع مكانته ، وشدة نفوذه وتمكّنه قبل ذلك ، والجامع فرط العلو في كلّ ، فقد " كان ظهور بابك سنة إحدى ومائتين بناحية أنربيجان ، وتبعه خلق عظيم على رأيه ، فأقام عشرين سنة يهزم جيوش المأمون والمعتصم فيقال : إنّه قتل مائة ألف وخمسين ألفاً وخمس مائة إنسان ، ولمّا قتله المعتصم ، وفُتحت مدينته ، وُجد فيها سبعة آلاف وست مائة امرأة مسلمة " (١) .

ويأتي قوله : (مَا أُرِقَّ الْعُودُ) مُصَدَّرًا بِ (مَا) المَصْدَرِيَّةِ الظَّرْفِيَّةِ ، كِنَايَةً عَنِ بَعْدِ الزَّمَنِ الَّذِي عَاشَهُ الْمَصْلُوبُ فِي جَاهِ وَنِعْمَةٍ ، وَسَيْطَرَةِ وَنَفُوذِ ، قَبْلَ قَتْلِهِ عَلَى يَدِ الْمُعْتَصِمِ ، فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ : " اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ ، مُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ " (٢) ، وَفِي هَذَا مِنْ تَصْوِيرِ مَا لَحِقَ بِ (بَابِك) الْمَصْلُوبِ مِنْ خِزْيٍ ، وَذُلٍّ شَدِيدٍ ؛ لِأَنَّ إِحْسَاسَ النَّفْسِ بِمَرَارَةِ النَّعْبِ وَالذُّلِّ ، عَقِبَ الرَّاحَةِ وَالْعِزِّ أَشَدَّ وَأَوْجَعُ .

هذا، وقوله في مطلع القصيدة على سبيل التّبكيّ والتّوبيخ:
مَا زَالَ يَغْنَفُ بِالنُّعْمَى فَنَفَّرَهَا .: عَنْهُ الْغُمُوطُ وَوَأَقْتَنَهُ الْأَرَاصِيدُ

(١) ينظر : الوافي بالوفيات للصفدي ١٠ / ٤٠ .

(٢) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . ١٦ / ١٠٠ . ط : دار سحنون للنشر

والتوزيع . تونس . ١٩٩٧ م .

تمهيد حسن لحكاية الصلب في البيت الثاني موضع الشاهد، حيث جعل الشاعر احتقار النعمة سببا لترصد المصائب ببابك المصلوب.

وفي قوله :

يَا بُقْعَةَ ضُرِبْتَ فِيهَا عِلَاوَتُهُ .: وَعَيْنُهُ ذَوْتَ اَعْصَانُهُ الْمِيْدُ
بُورِكْتِ اَرْضًا وَاَوْطَانًا مُبَارَكَةً .: مَا عَنكَ فِي الْاَرْضِ لِلتَّقْدِيْسِ تَعْرِيدُ (١)

بدأ الشاعر بنداء المكان ، وفي نداء المكان . وهو نداء مجازي . الذي صلب فيه بابك الخرمي : (يَا بُقْعَةَ ضُرِبْتَ فِيهَا عِلَاوَتُهُ وَعَيْنُهُ) تكمن مشاعر فيأضة متنوعة في نفس ابراهيم بن المهدي بين الفرح على صلب بابك وابرار فرط الشوق للعودة لتلك المواطن مرّة أخرى ، وبين الترح وبالغ الأسى على الفرار بعيدا عن تلك الديار إِيَّان حُكْم الْمَصْلُوب .

ثم ثنى الشاعر بالدعاء لهذه البقاع بالبركة ، مخبراً أنّها موطن استقراره الذي لن يفر بعيدا عنه : (بُورِكْتِ اَرْضًا ... مَا عَنكَ فِي الْاَرْضِ لِلتَّقْدِيْسِ تَعْرِيدُ) ، لكن الشاعر هنا لم يبرح الدعاء : (بُورِكْتِ اَرْضًا) حتّى عاد عليه بأسلوب الاعتراض :

(١) علاوته : العِلَاوَةُ : اَعْلَى الرَّأْسِ ، وَقِيلَ اَعْلَى الْعُنُقِ ، يُقَالُ : ضَرِبْتَ عِلَاوَتَهُ ، أَي رَأْسَهُ وَعُنُقَهُ ، وَالْعِلَاوَةُ اَيْضًا رَأْسُ الْاِنْسَانِ مَا دَامَ فِي عُنُقِهِ . ينظر : لسان العرب . مادة (ع ل ا) .

ذوت : ذَوَى الْعُوْدِ وَالْبَقْلِ بِالْفَتْحِ يَذُوِي ذِيًا وَذُوِيًا كِلَاهِمَا ذَبَلٌ فَهُوَ ذَاوٍ وَهُوَ اَنْ لَا يُصِيبُهُ رِيْهُ اَوْ يَضْرِبُهُ الْحَرُّ فَيَذْبَلُ وَيَضْنُغَفَ . ينظر : لسان العرب . مادة (ذوى) .
اَعْصَانُهُ الْمِيْدُ : مَا دَمَ مِيْدًا تَمَائِلُ ، وَمَا دَمَ يَمِيْدُ اِذَا تَنَتَّى وَتَبَخَّرَ ، وَمَادَتِ الْاَعْصَانُ تَمَائِلَتْ . ينظر : لسان العرب . مادة (ميْد) .

تعريد : عَرَدَ الرَّجُلُ عَنِ قَرْيَتِهِ اِذَا اُحْجِمَ وَنَكَلَ ، وَالتَّعْرِيدُ : الْفِرَارُ ، وَقِيلَ : التَّعْرِيدُ : سُرْعَةُ الذَّهَابِ فِي الْهَزِيْمَةِ . ينظر : لسان العرب . مادة (عرد) .

(وَأَوْطَانًا مُبَارَكَةً) للتسجيل على السَّامِعِ أَنَّ هُنَاكَ بِقَاعًا موصوفة بالبركة دُونَ غيرها ، وفي هذا أيضًا تلميح إلى أَنَّ هذا المَوْطِنَ مِنْ جُمْلَةِ تلك الأَمَاكنِ ، فالظَّاهِرُ أَنَّهُ يدعو بالبركة لهذه البُقعة ، فهي أرضه ، ووطنه ، محل الطَّهْرِ والبركة ، وقد استطاع الشَّاعِرُ أَنْ يمتد بالمعنى عن طريق الاعتراض ليُكَلِّفه مَوْنَةً تلك المقاصِدِ والأغراضِ ، فوقع الامتداد بالاعتراض خير موقع من الكلام . والله تعالى أعلم .

المبحث السادس

بَلَاغَةُ الْاِمْتِدَادِ بِالاعْتِرَاضِ فِي سِيَاقِ الْمَهْجَاءِ

تُعَدُّ كلمة الليث في تَبْيَانِ مَعْنَى الْمَهْجَاءِ بَأَنَّهُ : الْوَقِيعَةُ فِي الْأَشْعَارِ (١) على وجازتها جامعة ، وموضحة لمدلول هذا الفن الأدبي أتم توضيح ، ففي هذا الفن الأدبي ، يقع الهاجي في عِرْضِ الْمَهْجُو ، وينال منه ، ويجرده من جميع مكارم الأخلاق .

ويُعَدُّ فنُّ الْمَهْجَاءِ أحد الأركان الأربعة التي بُني عليها الشَّعْرُ ، فقد : " قالوا : قواعد الشَّعْرُ أربعة : الرغبة ، والرَّهْبَةُ ، والطرب ، والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشُّكْرُ ، ومع الرَّهْبَةُ يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشُّوقِ ورفقة النَّسِيبِ ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعُّدُ والعِتَابُ الموجه " (٢)

والهجاء نادر الوجود في شعر الخليفة المغني إبراهيم بن المهدي؛ لأنَّ الدَّوَّاعِ التي تفود إليه لا تكاد تتحقَّقُ في شَخْصِيَّتِهِ .

(١) لسان العرب . مادة (هجا) .

(٢) العمدة لابن رشيق ١ / ١٢٠ .

كان أيضًا للامتداد بالاعتراض في مقام الهجاء حضور في موضع وحيد عند

قوله :

فَلَا حِيَّيَ الْوَجْهَ الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ .: إِذَا حَيَّتِ الْوَجْهَ الْكَرِيمَ الْمَجَالِسُ
يُشِيمُ بِنِي كَعْبٍ وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ .: كَمَا شَامَتِ الْعَبْرَاءُ قَيْسًا وَدَاحِسُ (١)

تجد المعنى ممتدا بأسلوب الاعتراض بين طرفي الصورة التشبيهية في قول الشاعر : (وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ) لغرض سرعة التعجيل بإخراج المخاطب من جملة الكرام الذين ينتسب إليهم ، فأسلوب الاعتراض هنا نقل المعنى من طريق الغيبة إلى طريق الخطاب للمبالغة في الذم والهجاء ، وكأنه يوظف الخطاب لتوجيه ضربة قاسية لمخاطبه ؛ إذ إن إثارة الخطاب في مقام الهجاء أقذع وأقبح .

بدأ إبراهيم بن المهدي في قوله:

فَلَا حِيَّيَ الْوَجْهَ الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ .: إِذَا حَيَّتِ الْوَجْهَ الْكَرِيمَ الْمَجَالِسُ
ببيان أنَّ المخاطب لا يستحق التحية والتكريم ، التي يظفر بها الكرام ، وقد عبّر بالوجه عن الذات على طريقة المجاز المرسل ، إذ أطلق الجزء ، وأراد الكل؛ لأن أثر

(١) البيتان من الطويل . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٦٣ .

يُشِيمُ : الشَّيْمَةُ : الخُلُقُ ، والشَّيْمَةُ الطَّبِيعَةُ .. وأنشام الشيء في الشيء ، وتَشْيِمُ فيه ، وتَشْيِمُهُ : دخل فيه ... الشَّيْمَةُ : التراب يُخْفَرُ من الأرض ، وشام يشيم إذا عَبَّرَ رجله من الشَّيَامِ ، وهو التراب . ينظر : لسان العرب . مادة (شيم) .

= داحس والغبراء : من حروب قيس قال أبو عبيدة : حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان ، ابني بغيض بن ريث بن غطفان . وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء ، أيهما يكون له السبق ، ينظر : العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي . تح : محمد سعيد العريان ٦ / ١٤ . ط : مطبعة الاستقامة . القاهرة . ١٣٧٢ هـ .

التحية والإكرام يظهر في الوجوه خاصة ، و" فيها يظهر ما في النفس من سرور أو غَمٌّ " (١)

كما نعت وجه المخاطب بجملة الصلة عند قوله : (الذي جنننا به) وهي أدخل في الذم والهجاء ؛ لأنها تشي ببالغ القبح وفرط النكران ؛ إذ إن الشاعر قد عجز عن تصوير قبح ما رآه فاتكأ . وقد أحسن . على جملة الصلة بما فيها من إبهام علها تُعينه على تصوير حال المخاطب المهجو .

ثم إنه أسند فعل التحية للمجالس على طريقة المجاز العقلي ، فالفاعل الحقيقي هنا أهل المجالس لا المجالس ذاتها ، وذلك للمبالغة في تصوير مدى تلبس الأهل بالمجالس ، وأن الكرام الذين لا يدخل فيهم ولا ينتسب إليهم المهجو يحظون ببالغ التكريم وفرط الحفاوة بهم من الحي والجماد معاً ، وفي هذا من الزجر والتبكيك والتفريع للمخاطب ما فيه .

ثم راح يستطرد في التقبيح والتبكيك عن طريق الصورة التشبيهية بقوله : يُشِيْمُ بَنِي كَعْبٍ وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ . : كَمَا شَامَتِ الْغَبْرَاءُ قَيْسًا وَدَاحِسُ حَيْثُ شَبَّهَ الشَّاعِرُ الْهَيْئَةَ الْحَاصِلَةَ لِعَدِّ الْمَخَاطَبِ الْمَهْجُو فَرْدًا مِنْ أَفْرَادِ قَبِيلَتِهِ (بني كعب) وعدم مشابهته لهم في كريم الطبائع ، وجميل المحاسن ، بالهيئة الحاصلة لدخول أمر الغبراء وداحس ، وهما فرسا رهان ، في حيز اهتمام قيس بن زهير العبسي وانشغاله ، وهما ليس منه في شيء ، والجامع الهيئة الحاصلة لدخول الخارج عن الشيء فيه ، والغرض من التشبيه تقبيح المشبه كما هو باد .

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي . تح : الشيخ / محمد علي معوض والشيخ / عادل أحمد عبد الموجود والأستاذ الدكتور / عبد الفتاح أبو سنة ٥ / ٥٢٣ . ط : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان .

هذا ، ويُحسب للشاعر حُسن سَبْكَ أسلوب الاعتراض هنا ، فحين يتأمله الناظر يجده قد ذاب في تلك الصُّورة التشبيهية ، حتَّى صار عنصراً من عناصرها ، وفرداً رئيساً يُتمم المعنى ، ولا يُستغنى عنه ، كبقية عناصرها .

المبحث السابع

بِلاغَةُ الْإِمْتِدَادِ بِالْإِعْتِرَاضِ فِي سِيَاقِ الْحِكْمَةِ

ما الحكمة إلا " قول بليغٌ موجزٌ يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة ، ويتضمن حكماً في أمرٍ بخير أو نهي عن شر " (١)

جاء الامتداد بالاعتراض في شعر إبراهيم بن المهدي في سياق الحكمة ، في موضع وحيد ، عند قوله ، وهو من أحسن ما قيل في تقبيح التائي ، وعيب الأناة (٢) . :

عَيْبُ الْأَنَاءِ وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا . : أَنْ لَا خُلُودَ وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجْرًا (٣)

(١) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي . د : محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٢٠ . ط : مطبعة حجازي . القاهرة . ط : أولى . ١٣٦٨ هـ . ١٩٤٩ م .

(٢) ينظر : تحسين القبيح وتقبيح الحسن لأبي منصور الثعالبي . تح : شاكر العاشور ص ٩٦ . ط : مؤسسة المطبوعات العربية . لبنان . من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ببغداد . ط : أولى . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

وينظر : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ١ / ١٨٤ . ط : عالم الكتب . بيروت .

(٣) البيت من البسيط . ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٤٥ .

للبيت . موضع الشاهد . مناسبة ، رواها الموصلي ، قال إسحاق الموصلي : دخلت على ابن شكلة (بكسر الشين وفتحها) في بقايا غضب المأمون عليه ، فقلت :

هي المقادير تجري في أعنتها . : فاصبر ، فليس لها صبر على حال

فقد جاء في مَعْرِضِ الْاِنْكَارِ، وعدم الارتياح والاطمئنان ، لقول إسحاق الموصلي حين دخل على ابن شَكْلَةَ ، في بقايا غضب المأمون عليه :

هي المَقَادِيرُ تَجْرِي فِي أَعْنَتِهَا .: فاصْبِرْ ، فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالِ
يَوْمًا تَرِيشُ حَسِيْسَ الْقَوْمِ تَرْفَعُهُ .: دُونَ السَّمَاءِ ، وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي (١)

فإسحاق الموصلي يطلبُ مِنْ ابنِ شِكْلَةَ الصَّبْرَ ، ويبينُ له حَقِيقَةَ ما تفعله
الدُّنْيَا . وهو مقدور . بأهلها كما ترى .

هذا ، وقد حَقَّقَ الاعتراض بقوله : (وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا) بين المبتدأ وخبره:
(عَيْبُ الْأَنَاةِ .. أَنْ لَا خُلُودَ ، وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجْرًا) ، سِحْرًا وَجَمَالًا ، حيث أفاد
المبالغة في تقرير الغرض المسوق له الكلام ، وهو الحديث عن ذكر بعض مساوئ
التأني ، وطول التفكُّر ، وإطالة النَّظَرِ في عواقب الأمور ، وقد بَلَغَ الاعتراض هنا
الشَّاعِرُ غرضه في تمكين ما أراد في نفس المتلقي ، مع أَنَّ حديثه غير متوقَّع ؛

يَوْمًا تَرِيشُ حَسِيْسَ الْقَوْمِ تَرْفَعُهُ .: دُونَ السَّمَاءِ ، وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي
فأطرق إبراهيم ، ثُمَّ قَالَ :

عَيْبُ الْأَنَاةِ وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا .: أَنْ لَا خُلُودَ وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجْرًا
=ينظر : شعر إبراهيم بن المهدي وأخباره ص ١٤٥ .

الأناة : (أي) له أصول أربعة : البُطء وما أشبهه مِنَ الحِلْمِ وغيره ، وساعةً من الزمان
وإدراك الشيء ، وظرف من الظروف .. ويقال للتمكُّث في الأمور التأني .. ويقال: فلان خَيْرُهُ
أَيُّ أَيِّ بَطِيٍّ ، والأنا من الأناة والثَّوْدَةُ ... وتقول للرجل : إنه لذو أناة أي : لا يعجل في
الأمور ، وهو آوٍ وقورٌ . ينظر : مقاييس اللغة لأحمد بن فارس . تح : عبد السلام محمد
هازون . مادة (أي) . ط : اتحاد الكتاب العرب . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢ م .

(١) تريش : يقال : راشه يريشهُ ، إذا أحسنَ إليه ، وكلُّ من أولَّيته خيراً فقد رَشْتَهُ ، ومنه
الحديث : أن رجلاً راشه الله مالاً ، أي : أعطاه .. الرِّيشُ والرِّيشُ واحدٌ ، وهما ما ظهر
من اللباس . ينظر : لسان العرب . مادة (ريش) .

لأنَّ النَّاسَ تَظُنُّ أَنَّ الأناةَ محمودة لا عيب فيها ، فالاعتراض هنا يُترجم كذلك مدى امتلاء نفس الشاعر الشَّدِيد بالمعنى ، فالأناة والتَّوَدُّة عنده لانتفاء الخلود مذمومة ، فجملة الاعتراض : (وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا) قطعت كلَّ سبيل أمام مَنْ يرى أَنَّ الأناة محمودة ، فلا مجال عنده لشاكِّ أو مُعْتَرِضٍ ومنكِر ، ولا سبيل كذلك لتغيير ما اطمأنت إليه النَّفس ، ورضيت ، فجملة الاعتراض : (وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا) حَجَرَ مُلْقَى ابتداءً في أفواه مَنْ يرون خلاف ما يظنُّ الشاعر ويؤمن به .

كما لا يخفى على مُتأمل ما في الاعتراض بقوله : (وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا) من مُبالغة^(١) في إثبات التقبيح للأناة ، فيتمكَّن التقبيح في النَّفس خير تمكَّن ، وكيف لا ؟ والمبالغة " تفي بحاجات النَّفس الشَّاعرة ومطالبها ، وتتسع لمعاني الشَّعر وأغراضه ، يفرغ فيها الأديب ما يحسَّ به من آلام وأشجان ، ويصبُّ في قوالبها ما يجيش به صدره من شوق مُلتهب وعواطف مشتعلة ، ويصهر في بوتقتها ما تمتلئ به نفسه من مشاعر وأحاسيس " (٢)

فخلو البيت من أسلُوب الاعتراض يدع المعنى الذي يحاول الشَّاعر تمكينه في مهبِّ الرِّيح ، بحيث ينكره أدنى مُنكِر ، ففضل الاعتراض على المعنى هنا . كما هو بادٍ . غزير وواسع ، وأدنى ذلك التقرير والتمكين ، كما وضَّحه التَّحليل .

(١) المُتَّبِع للأساليب العربيَّة الرِّفِيعَة يجد أنَّ منها ما يدلُّ على المبالغة في إثبات الصفة ، ومنها ما يدلُّ على المبالغة في مقدارها ، ومنها ما يدلُّ على المبالغة فيهما .. ومن الأساليب التي تدلُّ على المبالغة في إثبات الصفة : أساليب التوكيد ، والقصر ، والكنائية ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وعكسه ، والإطناب بصوره المختلفة . ينظر : المبالغة في الصورة البيانية . د / أيوب عبد العزيز بدران . ص ٣٣٣ . حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة . جامعة الأزهر . العدد الأول . ١٩٨٣ م .

(٢) المبالغة في الصورة البيانية . د / أيوب عبد العزيز بدران . ص ٣٣٠ .

وفي وضع أسلوب الاعتراض : (وَانِ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا) في قالب الشَّرطِ المُصدَّرِ بأداة الشكِّ في تحقُّقه ، تناغ مع مقام التقبُّيحِ مِنْ وَجِه ، وربط البيت برباط الشَّرطِ الوثيق ، وزيادة تماسُكه مِنْ وَجِهٍ آخِر ، فالشَّرطُ " يمزج بين المعاني ويربط بينها برباط وثيق ، ويجعل الجمل في دلالاته بمثابة المفردات في الجمل غير الشرطية" (١) وجاء قوله : (وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجْرًا) في تبيان ثاني أسباب تقبُّيح الأناة وذمِّها ، وهو كِنَايَةٌ عَنِ الْحِسِّ وَالشُّعُورِ ، وفي هذا مِنَ التَّأْنِيسِ ، والتماس الأعداء نفس الجازع المكروب : (ابن سِكِّلَةَ) ما فيه ، كما أَنَّ الوصل بالواو هنا طريق الشَّاعر لوصل نفسه بنفس المُتلقَّى ، حيثُ مَكَّنَّته الواو مِنْ تَكثِيرِ مآخِذه على الأناة ، ففي الوصل إِذَا مِنْ تحقُّيق الإقْناع ، وتثبيت مقصوده ، ما لا يَخْفَى .

هذا ، وفي الشُّواهد التي تعرَّضت لها الدَّراسة بالتحليل كان أسلوب الاعتراض أبرز بنية في البيت تكشف عن مكنون الشَّاعر ، وما يَخْتلج فؤاده ، فإضاعات أسلوب الاعتراض على البيت الشَّعريِّ كلِّه جليَّة مُشرقة ، فالبدهيَّ أَنَّ جُملة الاعتراض عند صاحب البيان شاعرًا كان أو ناثرًا محل عناية ، وموضع رعايته وينظر إليها المُتلقَّى كذلك بعين اهتمام ، والله تعالى أعلم .

(١) ينظر : دلالات التراكيب . دراسة بلاغية للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى ص ١٩٩ . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : الثالثة . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ (١)

أما بعد:

فقد حطت هنا الدراسة رحالها مسجلة أبرز النتائج، وهي :

أولاً: أسلوب الاعتراض من مقتضيات النظم، ومطلبات البيان الفصيح، فهو وسيلة يتغيها البلاغ حيناً لتحقيق مقصود بيانه، فليس أسلوب الاعتراض زائدا عن حاجة البيان، وليس كذلك ثانوي الفائدة، والمتمعن لمواقعه المختلفة في بيان أولئك الفصحاء. ومن بينهم إبراهيم بن المهدي. الذين يحسنون اختيار الموقع الأنسب له، يدرك ذلك.

ثانياً: يعد الاعتراض خصوصية شعرية لإبراهيم بن المهدي، وقد تبين من خلال دراسة أساليب الاعتراض فضل الشاعر في حسن اختيار الموقع الأنسب والأوفق للجمل والأساليب، كما بان للدراسة أيضاً مدى تلاقي جملة الاعتراض في شعره مع بنية الإسناد.

ثالثاً: وقفت الدراسة على عدة جماليات كلية لأسلوب الاعتراض في شعر إبراهيم ابن المهدي، وهي سرعة التعجيل بالوصف والتسجيل على السامع، وتقرير

(١) حديث صحيح. ينظر: صحيح مسلم. تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات ٧

/ ٨٢، ورقم الحديث ٢٨٢٠. ط: دار التأصيل. ط: أولى. ١٤٣٥ هـ. ٢٠١٤ م.

الغرض المسوق له الكلام وتمكينه في النَّفْس ، واللفت والتنبيه ، والتقبيد والتخصيص لتحقيق غرض المتكلم .

رابعاً : لَحَظْتُ الدَّرَاسَةَ أَنَّ حَاجَةَ الْبَلِيعِ إِلَى اسْلُوبِ الْاِعْتِرَاضِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ مَاسَّةٌ لِتَكْمِيلِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَالْوَصُولِ إِلَى مَقْصُودِهِ ، وَتَمَكِينِ الشَّاعِرِ مِنْ تَصْوِيرِ مَا انْفَعَلَ بِهِ .

فسقوط الاعتراض من بنية الكلام البليغ يعني فقدان بعض مقاصد الشعر وأغراضه ، ويعني أيضا غياب الكثير من انفعالات الشاعر ومشاعره وأحاسيسه ، وتبدو الصورة عند سقوطه في كثير من الأحيان باهتة ، لأنَّ الشَّاعِرَ البصير بمواقع الكلام يُحْمَلُ اسْلُوبَ الْاِعْتِرَاضِ بِمَعَانٍ رَئِيسَةً لِذَاتِهَا مَتَمِّمَةً لِلْغُرْضِ الْمَسْجُوقِ لَهُ الْبَيَانِ ، فَيَبْدُو الْمَعْنَى مِنْ دُونِهَا نَاقِصًا .

خامساً : يَتَنَاوَمُ اسْلُوبُ الْاِعْتِرَاضِ فِي شِعْرِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ مَعَ فَنُونِ الشَّعْرِ وَأَغْرَاضِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ، فَتَرَاهُ فِي أَحْسَنِ مَوْقِعٍ ، مَعَ أَغْرَاضِ الْغَزْلِ ، وَالْمَدْحِ ، وَالْفَخْرِ ، وَالاسْتِعْطَافِ ، وَالْهَجَاءِ ، وَالرِّثَاءِ ، وَالْوَصْفِ ، وَالْحِكْمَةِ ، وَغَيْرِهَا ، وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ عَنِ يَقِينِ الْقَوْلِ بِأَنَّ جَمِيعَ الْمَعَانِي فِي شِعْرِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ تَتَسَقُّ مَعَ الْاِعْتِرَاضِ إِلَى غَيْرِ حَدٍّ .

سادساً : كَثُرَ الْاِمْتِدَادُ بِالاعْتِرَاضِ فِي سِيَاقِ الْغَزْلِ ، وَالْمَدْحِ وَالاسْتِعْطَافِ ، وَحَدِيثِ الشَّاعِرِ عَنِ نَفْسِهِ ، وَقَلَّ فِي سِيَاقِ الْهَجَاءِ ، وَالرِّثَاءِ ، وَالْحِكْمَةِ ، وَالْوَصْفِ .

سابعاً : لَقَدْ تَبَدَّتْ صَنْعَةُ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ لِاسْلُوبِ الْاِعْتِرَاضِ فِي ثَوْبِ عَفْوِيٍّ ، لَمْ يُرَ عَلَيْهِ أَثَرُ التَّكْثُفِ ، وَالتَّصْنُّعِ ، وَالِافْتَعَالِ ، وَمِنْ ثَمَّ وَقَعَتْ خَيْرَ مَوْقِعٍ فِي تَحْقِيقِ مَا أَرَادَهُ .

ثامناً : لجملة الاعتراض في كثير من الأحيان أثر بيّن في تحقيق تماسك النَّصِّ الشّعري وترابطه ، وإضفاء الجزالة والامتانة عليه ، وهذا يتبدّى حين يتمعن الدّارس في علاقة جُملة الاعتراض بما قبلها وما بعدها .

هذا ، وتوصي الدراسة بـ :

أولاً : توجيه الأنظار ولقتها إلى دراسة مُستقلّة تنغيّا الوقوف على بلاغة الامتداد في مختلف ألوان البيان الفصيح عامّة وفي شعر إبراهيم بن المهدي خاصة .

ثانياً : دراسة أثر تعدّد الرّوايات الشّعريّة على المعنى في شعر الخليفة المغني إبراهيم بن المهدي كلّه ولاسيّما أنّ مُحَقِّق شعره الدكتور / محمد مصطفى أبو شوارب . نفع الله بجهده . قد سعى سعيًا حثيثًا إلى إثبات تلك الرّوايات في هامش التّحقيق ، وهذا بلا شكّ يُعين الدّارس الجادّ إلى بلوغ مُبتغاه .

هذا ، والله أسألُ أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات ، وأن يتجاوز عن العثرات والهفوات ، إنّه سميع مجيب . ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) والله تعالى أعلم .

(١) سورة البقرة: آية ٢٧ .

فهرس المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

- 📖 ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي . تح : محمد عثمان . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- 📖 أساس البلاغة للزمخشري . تح : محمد باسبل عيونس السؤد . ط : المكتبة العلمية . بيروت . لبنان . ضمن منشورات محمد علي بيضون . ط : أولى . ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م .
- 📖 أساليب امتداد الجملة الفعلية في ديوان علي الجارم . بين السِّيَاقِ وَالذَّلَالَةِ . للباحث : أحمد عوض عبد العزيز قطب . رسالة ماجستير (مخطوطة) . كلية اللغة العربية . أسيوط . جامعة الأزهر . ١٤٣٧ هـ . ٢٠١٦ م . تحت إشراف الأستاذ الدكتور / علي عبد الحميد أحمد عيسى .
- 📖 أسرار البلاغة للإمام عبد الفاهر الجرجاني . قراءة وتعليق : الشيخ / محمود محمد شاکر . ط : مطبعة المدني بالقاهرة . ودار المدني بجدة .
- 📖 أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ناشره ج . هيورث . دن . المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن . ط : مطبعة الصاوي . مصر . ط : أولى . ١٩٣٦ م .
- 📖 الأصول في النحو لابن السراج . تح : د . عبد الحسين الفتلي . ط : مؤسسة الرسالة . بيروت . ط : الثالثة . ١٩٨٨ م .
- 📖 الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . تح : د / إحسان عباس ، و د / إبراهيم السعافين ، والأستاذ / بكر عباس . ط : دار صادر . بيروت . ط : أولى . ٢٠٠٠ م .
- 📖 الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . شرحه وكتب هوامشه : عبدأ علي مهنا . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .
- 📖 الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) للخطيب القزويني . وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط : أولى . ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .

- ❏ الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني . تح : د / محمد عبد المنعم خفاجي . ط: المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة . ط : ثالثة . ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م .
- ❏ البلاغة العربية . أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد لعبد الرحمن حسن حَبْنَكَة الميداني . ط : دار القلم . دمشق والدار الشامية . بيروت . ط : أولى . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م .
- ❏ تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادي . تح : مصطفى عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية . بيروت .
- ❏ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الدمشقي . تح : مصطفى عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية . بيروت .
- ❏ التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . تح : أحمد حبيب قصير العاملي . ط : دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .
- ❏ تحسين القبيح وتقبيح الحسن لأبي منصور الثعالبي . تح : شاکر العاشور . ط : مؤسسة المطبوعات العربية . لبنان . من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ببغداد . ط : أولى . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .
- ❏ تعدد الرواية في الشعر الجاهلي . ديوان الهدليين نموذجاً . أيمن بكر . مجلة فصول . مصر . العدد : السادس والستون . ٢٠٠٥ م .
- ❏ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . للإمام فخر الدين الرازي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م .
- ❏ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي . ط : المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .
- ❏ ثنائية (التَّعَبُ وَالرَّاحَةُ) فِي سُورَةِ (الضُّحَى) وَأَثْرُهَا فِي تَمَاسُكِ النَّصِّ لِلدُّكْتُورِ / أيوب جرجيس العطيّة من جامعة التّميّة البشريّة في السُّليمانيّة بالعراق . مجلة بونة للبحوث والدراسات . مجلة دورية محكمة . العدد المزدوج (٢٠/١٩) - عدد ربيع الأول ١٤٣٤ هـ . ٢٠١٣ م .

- 📖 الجملة العربية . مكوناتها . أعدادها . تحليلها . د إبراهيم محمد عبادة . ط : مكتبة الآداب للطباعة والنشر . ط : ثانية . ٢٠٠١ م .
- 📖 الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني . دراسات نحوية . رابح بو معزة . ط : دار رسلان للطباعة والنشر . ٢٠٠٨ م .
- 📖 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . السيد أحمد الهاشمي . ضبط وتدقيق وتوثيق : د / يوسف الصميلي . ط : المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . من دون تاريخ .
- 📖 الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام الثعالبي . تح : الشيخ / محمد علي معوض والشيخ / عادل أحمد عبد الموجود والدكتور / عبد الفتاح أبو سنة . ط : دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان .
- 📖 الحياة الأدبية في العصر الجاهلي . د : محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٢٠ . ط : مطبعة حجازي . القاهرة . ط : أولى . ١٣٦٨ هـ . ١٩٤٩ م .
- 📖 الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني . تح : محمد علي النجار . ط : الهيئة العامة لقصور الثقافة . ٢٠٠٦ م . مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م .
- 📖 دراسات في الإبداع الفني في الشعر . رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي . أ د / جهاد شاهر المجالي . ط : دروب للنشر والتوزيع . عمان . ط : ثانية . ١٤٣٧ هـ . ٢٠١٦ م .
- 📖 الدراسة الأدبية . رفيف خوري . ط : مؤسسة هنداوي . ٢٠٢٠ م .
- 📖 دراسة في البلاغة والشعر . د محمد محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : الأولى . ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م .
- 📖 دلالات التراكيب . دراسة بلاغية لأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : ثالثة . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .
- 📖 دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني . قراءة وتعليق : محمود محمد شاعر . ط : مطبعة المدني . القاهرة . صفّ الكتاب بطريقة الجمع التصويري : مكتبة الخانجي . القاهرة .

- 📖 الربط وأثره في البناء النصي . دراسة نحوية دلالية . د يوسف محمود محمد الحسني .
مجلة أمارياك . مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا . المجلد السادس .
العدد التاسع عشر . ٢٠١٥ م .
- 📖 الرِّثَاءُ لِشَوْقِي ضَيْف . ط : دار المعارف . القاهرة . ط : رابعة . من دون تاريخ .
- 📖 رُوحُ الْمُعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمُثَانِي لِشُهَابِ الدِّينِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ
الْأَلُوسِيِّ . ط : دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .
- 📖 الزَّهْرَةُ الْأَبْيُ بَكْرُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدِ الْأَصْبَهَانِيِّ . تَحْقِيقُ : د / إِبْرَاهِيمَ السَّامُرَائِيِّ . ط :
مكتبة المنار . الأردن . ط : ثانية . ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٥ م .
- 📖 سِيرُ أَعْلَامِ النَّبِلاءِ لِلْإِمَامِ شَمْسِ الدِّينِ الذَّهَبِيِّ . تَح: شعيب الأرنؤوط،
و/ محمد نعيم العرقسوسي . . ط : مؤسسة الرسالة . ط : أولى . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م .
- 📖 شَرْحُ التَّسْهِيلِ الْمُسَمَّى تَمْهِيدَ الْقَوَاعِدِ بِشَرْحِ تَسْهِيلِ الْفَوَائِدِ لِمُحِبِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ
يُوسُفَ التَّمِيمِيِّ الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِنَازِرِ الْجَيْشِ . تَح: محمد العزازي . ط: دار الكتب
العلمية . بيروت . لبنان .
- 📖 شَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِأَبِي تَمَامٍ . تَأَلِيفُ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَرْزُوقِيِّ . عُلُقُ
عَلَيْهِ وَكُتِبَ حَوَاشِيهِ : غَرِيدُ الشَّيْخِ . وَضَعُ فَهَارِسَهُ الْعَامَّةُ : إِبْرَاهِيمُ شَمْسِ الدِّينِ . ط :
دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- 📖 شِعْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ (الْخَلِيفَةِ الْمُغْنِيِّ) وَأَخْبَارُهُ وَنَثَرُهُ . جَمْعُ وَتَحْقِيقُ وَدِرَاسَةٌ : د
مُحَمَّدُ مِصْطَفَى أَبُو شَوَّارِبٍ . ط : دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر . ط : أولى . ٢٠٠٧ م
- 📖 الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْمَعَاوِرُ . قِضَايَاهُ وَظَوَاهِرُهُ الْفَنِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ . د / عَزَّ الدِّينُ إِسْمَاعِيلُ .
ط : دار الثقافة . بيروت . ١٩٦٦ م .
- 📖 الصَّاحِبِيُّ فِي فَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا لِأَحْمَدِ بْنِ فَارِسٍ .
عُلُقُ عَلَيْهِ وَوَضَعُ حَوَاشِيهِ: أَحْمَدُ حَسَنُ بَسْجٍ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- 📖 صَحِيحُ مُسْلِمٍ . تَحْقِيقُ وَدِرَاسَةٌ: مَرْكَزُ الْبَحْثِ وَتَقْنِيَّةِ الْمَعْلُومَاتِ . ط: دار التَّأْصِيلِ . ط
: أولى . ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م .

- 📖 الطَّرَازُ الْمُتَضَمِّنُ لِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَعِلْمِ حَقَائِقِ الْإِعْجَازِ لِيَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ الْعُلُوِي . تَح :
د / عبد الحميد هنداوي . ط : المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٣ هـ .
٢٠٠٢ م .
- 📖 الْعِدَّةُ الْفَرِيدُ لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ . تَح : محمد سعيد العريان . ط : مطبعة الاستقامة
. القاهرة . ١٣٧٢ هـ . ١٩٥٣ م .
- 📖 الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشَّعْرِ وَأَدَابِهِ وَنَقْدِهِ لِابْنِ رَشِيْقِ الْفَيْرَوَانِيِّ . تَحْقِيقُ : محمد محيي
الدين عبد الحميد . ط : دار الجيل . بيروت . لبنان . ط : خامسة . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .
- 📖 الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَةِ لِلْقَاضِي أَبِي عَلِي الْمُحَسَّنِ بْنِ عَلِي التَّنُوخِيِّ . تَح : عبود الشالجي .
ط : دار صادر . بيروت . ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .
- 📖 الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ وَعَيُونِ الْأَقَاوِيلِ فِي وَجُوهِ التَّأْوِيلِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ .
ط : دار الكتب العربي . بيروت . ١٤٠٧ هـ .
- 📖 لُبَّابُ الْأَدَابِ لِأَبِي مَنْصُورِ الثَّعَالِبِيِّ . تَح : أحمد حسن بسج . ط : دار الكتب العلمية .
بيروت . لبنان . ١٩٩٧ م .
- 📖 لِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ . ط : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .
السعودية . أشرفت على الطباعة : دار النوادر . الكويت . ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م .
- 📖 الْمُبَالَغَةُ فِي الصُّورَةِ الْبَيَانِيَّةِ . د / أيوب عبد العزيز بدران . حولية كلية الدراسات
الإسلامية والعربية بالقاهرة . جامعة الأزهر . العدد الأول . ١٩٨٣ م
- 📖 الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ لِضِيَاءِ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ . قَدَمَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ د /
أحمد الحوفي و د / بدوي بطانة . ط : دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجالة . القاهرة .
- 📖 الْمَثَلُ السَّائِرُ لِابْنِ الْأَثِيرِ . تَحْقِيقُ : محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة
العصرية للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٩٥ م .
- 📖 الْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ الْبِيهَقِيِّ . صَحْحَهُ / محمد بدر الدين النعساني
الْحَلْبِيِّ . ط : مطبعة السعادة على نفقة / محمد كامل أفندي النعساني . ١٩٠٦ م .

- 📖 محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني . ط: دار مكتبة الحياة . بيروت.
- 📖 مختصر المعاني ضمن كتاب شروح التلخيص . . ط: دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .
- 📖 مراجعات في أصول الدرس البلاغي . د محمد محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . ط: أولى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
- 📖 المُسْتَجَاد مِنْ فَعَلَاتِ الْأَجْوَادِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسَّنِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ . تح: أحمد فريد المزدي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
- 📖 مصارع العشاق لجعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي تح : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، و / أحمد رشدي شحاته . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .
- 📖 المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) للعلامة سعد الدين التفتازاني . تح : د / عبد الحميد هنداوي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : الثالثة . ١٤٣٤ هـ . ٢٠١٣ م .
- 📖 المعارف لابن قتيبة أبي محمد عبدالله بن مسلم (. تح : د ثروت عكاشة . ط : دار المعارف . القاهرة . ط : الرابعة . من دون تاريخ .
- 📖 معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : عالم الكتب . بيروت .
- 📖 مُعْجَمُ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلدُّكْتُورِ بَدْوِيِّ بَطَّانَةَ . ط : دار المنار للنشر والتوزيع . جدة . ودار الرفاعي . الرياض . ط : الثالثة . ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .
- 📖 المعجم المفصل في الأدب . د / محمد التونجي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط : ثانية . ١٤١٩ هـ . ١٩٩٩ م .
- 📖 المعجم الوسيط . لإبراهيم مصطفى ، و / أحمد حسن الزيات و / حامد عبد القادر ، و / محمد علي النجار . ط : مكتبة الشروق الدولية . ط : رابعة . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

- 📖 مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري . تحقيق : د / مازن المبارك
و/ محمد علي حمد الله . راجعه : سعيد الأفغاني . ط : دار الفكر . دمشق . ط : أولى .
١٣٨٤ هـ . ١٩٦٤ م .
- 📖 مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني . تح : صفوان عدنان داوودي . ط : دار القلم
دمشق . ط : رابعة . ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .
- 📖 مقاييس اللغة لأحمد بن فارس . تح : عبد السلام محمد هارون . ط : اتحاد الكتاب
العرب . ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .
- 📖 مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي . ضمن شروح التلخيص . ط : دار الكتب العلمية .
بيروت . لبنان . من دون تاريخ .
- 📖 نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم . د / أحمد سيد محمد عمار .
ط : دار الفكر العربي . بيروت . لبنان . ٢٠٠٠ م .
- 📖 نظرية نحو الكلام . رؤية عربية أصيلة . للأستاذ الدكتور / كريم حسين ناصح
الخالدي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- 📖 نقد الشعر لقدامة بن جعفر . تح : د / محمد عبد المنعم خفاجي . ط : دار الكتب
العلمية . بيروت . لبنان . من دون تاريخ .
- 📖 نوادر القليوبي لأحمد شهاب الدين بن سلامة القليوبي . ضبطه واعتنى به الشيخ :
عبد الوارث محمد علي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- 📖 هَمْعُ الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي . تح : أحمد شمس الدين . ط : دار
الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط : أولى . ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م .
- 📖 الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي . تح : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى . ط :
دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . ط : أولى . ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .
